
www.kotobarabia.com
مخابرات
دولة الرسول
محمد الشافعى
www.kotobarabia.com

مخابرات

دولة الرسول

دراسة موثقة

محمد الشافعي

إهداء

إلى زوجتي العزيزة

التي تساعدني كثيرا

ولكنها تتعب سريعا

أهمس لها

الفوز دوما آخر المشوار

فويل للذين يسقطون

في المنتصف

محمد الشافعي

مقدمة

الأحلام الكبيرة.. لا تضيع أبدا

أعتقد أن الأحلام الكبيرة لا تضيع أبدا.. خاصة إذا كان الحالمون بها من أولى العزم الذين يجاهدون ويجتهدون لتحقيق أحلامهم فإن أعيتهم السبل جاهدوا ليدركوا أقصى ما يمكن إدراكه من حلمهم الكبير.. فهذا الجهد المتواضع الموجود بين دفتي هذا الكتاب يمثل أقصى ما أمكنني إدراكه من حلمي الكبير الذي بدأ قبل أربع سنوات حين أزمعت القيام بإعداد موسوعة ضخمة عن عالم المخابرات والجاسوسية منذ بدء الخليفة وحتى الآن تحت عنوان (المخابرات من العسس إلى أقمار التجسس) وقد طرقت كل الأبواب التي قد تساعدني في إنجاز هذا العمل الضخم فالتقيت أولا مع خبير المخابرات المصري العالمي البطل محمد نسيم الذي أبدى ترحيبه وسعادته بالفكرة على اعتبار أن المكتبة العربية تفتقد إلى مثل هذه الموسوعة وأخبرني بأني سألاقي الكثير والكثير من المصاعب والمتاعب وأوصاني بالصبر والمثابرة خاصة في ظل ندرة أو انعدام المراجع في هذا المجال.. وبعد هذا اللقاء المشجع مع البطل محمد نسيم ذهبت إلى إدارة المخابرات العامة وبعد أكثر من زيارة للمبنى اكتشفت انه من الصعب جدا استعارة أو الإطلاع على المراجع الموجودة في

مكتبة الإدارة وكان من رأى احد المسئولين بالإدارة أن هذا العمل ضخم جدا لدرجة تجعل من المستحيل على الجهد الفردي الإحاطة به وأخبرني بالعديد من المحاولات السابقة لتقديم دراسات محدودة عن عالم المخابرات والجاسوسية في عصر محدد أو فترة زمنية محددة وأن هذه المحاولات قد لاقت العديد من الصعاب مما جعل أصحابها يتوقفون عن السير فيها.

- ورغم ذلك لم يصبني اليأس ولم يصب عزمي بالوهن لأني كنت وما زلت مؤمن بأن الحضارة الإنسانية في كافة مراحل تطورها تأتي كنتاج أساسي للحروب والمعارك العسكرية وأن الحروب والمعارك العسكرية لا يمكن أن تتم إلا على ركائز قوية من أعمال المخابرات والجاسوسية ولذلك فقد كنت اعتقد أنني لو استطعت دراسة (تاريخ الحروب) في العالم منذ بدء الخليقة وحتى الآن لاستطعت من خلال هذه الدراسة إعداد الموسوعة التي أحلم بها وقررت رغم كل الصعاب والمتاعب أن أبدأ إعداد هذه الدراسة الموسوعية. ورغم الجهد الكبير الذي تم إلا أن قلة المراجع ظلت قيدا يعوق الحركة ويمنع التقدم إلا بشق الأنفس وفي ظل كل هذه الصعاب والاحتياطات جاءت (جائزة السماء) لكي تؤكد [إن ا   لا يضيع أجر من أحسن عملاً] فقد اكتشفت أثناء عمليات البحث والتنقيب في تلك المراجع القليلة أن

رسول ا محمد بن عبد ا ﷺ إلى جانب عبقريته العسكرية فهو أيضا يمتلك عبقرية نادرة في دنيا المخابرات ولأني كنت وما زلت من المؤمنين بأن الإعجاز في شخصية رسول ا عليه الصلاة والسلام يكمن في بشريته وفي عبقرية رؤاه الإنسانية في كل اجتهادية فقد وجدت في (العبقرية المخابراتيه) عند الرسول ما يزيدني إيمانا بالإعجاز البشري في شخصيته عليه الصلاة والسلام وسوف نكتشف معا من صفحات هذا الكتاب أن الرسول الكريم قد سبق الزمن بمئات السنين ليبتكر أساليب وطرق في عالم المخابرات لم يعرفها العالم إلى في الحربين العالميتين الأولى والثانية مثل ما اصطلح على تسميته (الأوامر المختومة) وهي خطابات مغلقة يحملها رجل المخابرات ولا يفتحها إلا في مكان بعينه وزمان محدد ثم ينفذ ما فيها. إضافة إلى عبقرية الرسول عليه الصلاة والسلام في تحليل المعلومات التي تصل إليه من رجال مخابراته تحليلا علميا يجعله يبني على تلك التحليلات خططه العسكرية التي كانت ناجحة في كل الأحوال وإن حدث بعض الخطأ مثلما حدث في (غزوة أحد) فلم يكن ذلك راجعا إلى قصور في الخطة التي رسمها الرسول عليه الصلاة والسلام ولكن ذلك يرجع إلى عدم تنفيذ الخطة المرسومة قبل المعركة. وقد كان رسول ا ذلك النبي الأمي الذي غير وجه التاريخ يعطي أهمية كبيرة لكل أعمال

المخابرات فله دوما عيون مبثوثة في كل الأماكن التي تهم الدولة الإسلامية الوليدة وبشكل خاص تلك الأماكن التي تحمل بعض التوتر الذي قد يجعلها عوامل قلق للإسلام أو للمسلمين. كما ابتكر الرسول عليه الصلاة والسلام العديد من طرق الإخفاء والتمويه على الأعداء كما أن نصائحه إلى رجال مخابراته ما زالت حتى الآن تمثل النصائح الذهبية لأي رجل مخابرات في العالم.

- وللحق فأنني أجد في هذه الصفحات التي أرصد من خلالها لعالم (مخابرات الرسول) نوعا من (الجوائز الإلهية) العظيمة تعويضا لي على ذلك الجهد الذي بذل وعلى ذلك الحلم الذي لم يتم وإن كنت قد وضعت خلال هذه الصفحات جزء لا بأس به من حلمي وذلك من خلال الفصل الذي يأخذنا في سياحة تاريخية في عالم الجاسوسية والمخابرات بل أنني قد التزمت في إعداد هذه الدراسات عن مخابرات الرسول بنفس المنهج الذي كنت سأنتهجه في إعداد الموسوعة الكبرى عن المخابرات حيث قمت برصد أعمال المخابرات عند الرسول صلى ا عليه وسلم من خلال عملية تحليل لكل الغزوات والسرايا التي تمت في عهده عليه الصلاة والسلام وبعض هذه الغزوات والسرايا نمت بقيادة الرسول شخصيا وبعضها الآخر تم بقيادة العديد من الصحابة الكرام.

- وفي النهاية أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية لاجتهادات أخرى تعمل على رصد كل جوانب (العبقرية البشرية) عند رسول ا ﷺ تلك العبقرية الإنسانية التي تمثل زادا لا ينفذ لكل الباحثين والدارسين.

محمد الشافعي

كفر الشرفا القبلي

في ٥/ ٧/ ١٩٩٦

الفصل الأول

المخابرات والجاسوسية
في المعاجم والتفاسير

المخابرات والجاسوسية في المعاجم والتفاسير

عشرات الصفحات في كل المعاجم اللغوية، وكتب الفقه والتفاسير، تشرح معنى المخابرات والجاسوسية. وحتى لا نقع في حيرة المقارنات والاختلافات، فسوف نقدم (المضمون) الذي اتفقت عليه كل هذه الكتب، حول معنى الجاسوسية والمخابرات.

ويقول علماء اللغة.. إن التجسس نابع من الجس. والجس هو اللمس باليد وموضعه المجسه. أي يجسه جسآ وأجتسه أي مسه ولمسه. وجس الشخص بعينيه أي احد النظر إليه ليستبينه ويستثبه وهو مجار حيث أن الجس هو اللمس باليد باعتبار ما فيه من معنى الطلب باللمس لأن من يطلب شيئا يجسه ويلمسه. واستعماله في غير اليد مجاز كالقول جسه بعينيه ومنه قول الشاعر:

وفتية كالذئاب الطلس قلت لهـم إني أرى شبحا قد زال أوحـالا

فأعصو صبوا ثم جسوه بأعينتهم ثم اختفوه وقرن الشمس قد زالا

وجس الأرض جسا أي وطئها.

والجساس هو الأسد لأنه يؤثر في الفريسة ببراثنه ومنه جس وهو اسم صوت لزجر البعير.

ومنه الجاسه وهو الحاسة من الحواس الخمس وجمعها جواس، وحواس الإنسان معروفة وهي خمس: اليدان والعينان والفم والشم والسمع.

وجس الخبر أي بحث عنه وتفحص. وتجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه، ومنه التجسس. حيث يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن (تفعل) كما أن التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب.

وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) الجن أية ٨ وقيل إن التجسس بالجيم يعني البحث عن العورات أو تتبع الظواهر وقد ورد قوله تعالى (ولا تجسسوا) الحجرات آية ٢١ أي: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وتستكشفوا عما ستره ا تعالى كما ورد في قوله تعالى (يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) يوسف أية ٨٧. وفيه معنى طلب الأخبار عنه.

وفي تفسير القرطبي أن التجسس بالجيم هو (البحث عما يكتم عنك) وقد ورد في الحديث الشريف ذكره صراحة في معنى النهي عنه حيث قال ﷺ (إياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد ا إخوانا) صحيح مسلم.

وقد أفرد البخاري بابا للجاسوس سماه (باب الجاسوس) وأورد الأية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) الممتحنة أية ١.

وقد ذكرت معظم كتب الفقه الجاسوس بمعنى العين وأن العين هو الجاسوس. وقد ورد تعريف الجاسوس في كتاب الخرش على خليل بأنه الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين وينقل أخبارهم للعدو.

وقد ورد التعريف بالجاسوس في دائرة المعارف الإسلامية بما يلي:

الجاسوس: كلمة تدل على المعنى المعروف، وهي ترد متلازمة مع كلمة عين بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء يستطيع أن يناقش إحداهما دون الرجوع إلى الأخرى، على أن الظاهر هو أن كلمة جاسوس تستعمل بصفه أخص للدلالة على العين يرسل بين صفوف العدو.

وقد عرفت الجاسوسية بأنها مهنة الجاسوس.

كما ورد تعريف الجاسوس في القانون الدولي العام بما يلي: هو الشخص الذي يعمل في خفية أو تحت ستار مظهر كاذب، في جمع أو محاولة جمع معلومات عن منطقه الأعمال الحربية لإحدى الدول المحاربة بقصد إيصال هذه المعلومات لدولة العدو.

ويستنتج مما سبق أن التجسس هو البحث والتفتيش عما يخفي من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أجهزة التجسس بقصد الإطلاع عليها، والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة.

والجاسوس بالنسبة للمسلمين إما أن يكون مسلما مجاهدا في سبيل ا يجمع المعلومات عن العدو لصالح المسلمين ويخاص ا ولرسوله وللمؤمنين فيستحق التقدير والمكافأة من القادة والمسئولين، وإما أن يكون عدوا لهم سواء أكان أجنبيا أم من المسلمين، حيث أن الجاسوس المسلم الذي ينقل أخبار المسلمين للعدو أشد خطورة من جاسوس الأعداء.

أما عن المخابرات فيقول علماء اللغة أنها تشتق من الفعل خبر ومنه خبرت الناقة أن تخدر لبنها وخبرت الشيء خبرا وخبرة ومخبرة أي بلاه، وأمتحنه وعرف خبره على حقيقته فهو خابر ويقال من أين خبرت هذا الأمر؟

ويقال لأخبرن خبرك أي لأعلمن علمك..

ويقال خبر بالأمر (أخبره) بكذا أي أنباه.

وخابره أي زارعه مخابره وبادله الأخبار (محدثه) خبره بكذا أي أخبره به.

وتخبر الخبر أي سأل عنه وتخبر الشيء أي عرفه على حقيقته وفي حديث الحديبية (انه بعث عينا من خزاعة يتخبر له خبر قريش) أي يتعرف له.

وإستخبرة أي سأله عن الخبر طلب أن يخبره به. ويقال إستخبر الخبر.

والمخبار ما يختبر به الشيء. والمخبر من يزود الصحيفة بالأخبار.

* * *

الفصل الثاني

التعريف (الفني)
للمخابرات والجاسوسية!

التعريف (الفني) للمخابرات والجاسوسية!

بعد أن قدمنا في الفصل الأول اجتهادات علماء اللغة والفقه والتفسير حول (المعنى اللغوي) للمخابرات والجاسوسية كان لابد لنا حتى نحصل على (المعنى الكامل) لهاتين الكلمتين أن نبحث عن (المعنى الفني) لهما وهذا المعنى الفني يتواجد فقط عند (علماء) الجاسوسية والمخابرات وسوف نقدم فيما يلي بعض الاجتهادات الفنية والعلمية حول معنى المخابرات والجاسوسية.

وبداية نؤكد على انه من الصعب أن نجد تعريفا محددا يتضمن كل ما يمكن أن يحتمل به تفكير الإنسان عند سماع كلمة (مخابرات) بحيث يستطيع بسهولة أن يلمس كل ما يمكن أن تضيفه هذه الكلمة من حيث مفهومها وطبيعتها وأبعادها وكل ما يتعلق بها وقد نجد كلمة مخابرات مقرونة بكلمات أخرى مثل (المخابرات التكتيكية – المخابرات الاستراتيجية – المخابرات العلمية – المخابرات الاقتصادية.. الخ..).

وقد تستخدم كلمة مخابرات استخداما مزدوجا فهي تعني أحيانا عمليات المخابرات نفسها وأحيانا تعني (نتائج وثمار هذه العملية) أي حصيلة المعلومات التي يتحصل عليها المخابرات وتعني كلمة مخابرات في الإنجليزية (معلومات) وهناك تعريف للمخابرات يقول

(إنها المعرفة والعلم بالمعلومات التي يجب أن تتوافر لدى كبار المسئولين من المدنيين والعسكريين حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومي).

وفي عام ١٩٥٥ شكلت أمريكا لجنة لدراسة نشاط المخابرات وهي (لجنة تنظيم الإدارة التنفيذية للحكومة) برئاسة هيربرت هوفر وعرفت فيما بعد باسم (لجنة هوفر) وقامت بوضع تعريف للمخابرات تضمنه تقريرها إلى الكونجرس وهو (المخابرات هي عملية الحصول على كل الأمور التي يجب أن نعرفها قبل البدء في العمل وهي التي تعالج كل هذه الأمور التي يجب أن تكون معروفة مقدما لتنظيم خطة العمل).

وأضاف أرثر رادفورد احد كبار رجال البنتاجون قائلا (إن وضع القرار أو صياغة العمل الذي يجب أن يقوم به احد المسئولين عندما تتوافر له معلومات غير كاملة إلى حد ما أن الإجابة لا تكون واضحة بل تفرض نفسها فرضا أي أن المخابرات الجيدة هي التي تقلل من متاعب وضع الرأي ومن صعاب صياغة القرار).

وقد ورد في قاموس المصطلحات العسكرية لأمريكا تعريفا للمخابرات يقول (المخابرات هي نتيجة جمع وتقييم وتحليل وإيضاح وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن أي نواحي لدولة

أجنبية أو لمناطق العمليات والتي تكون لازمة لزوما مباشرا للتخطيط..).

ويقول لاديلاس فاراجو الذي ولد بالمجر وعمل صحفيا وكانت له تجارب مثيرة في عالم المخابرات يقول عن المخابرات (إنها تعني في صورة ما القدرة على فهم وتقدير الآراء ولكن في جدل المواهب العقلية سواء في المجتمع الإنساني المتنافس أو في سير العلاقات بين الأمم فإنها تعني المعلومات التي يتصرف الناس الذين تخصصوا فيها بالكيفية التي يعالج بها رجال الصحف الأنباء وتعريف معاجم اللغة لهذا النوع من المعلومات هي (المعلومات المنقولة) أي المعلومات التي لا تبقى في ذهن شخص واحد ولكنها تنقل منه إلى غيره وفي الوكالات التي تخصصت في هذا النشاط توصف المخابرات بأنها المعلومات المقدرة القيمية التي تقررت درجة الثقة بها وبمعناها وأهميتها).

ويعرف واشنجطن بلات المخابرات بأنها (عبارة عن بيان ذات معنى يؤخذ من معلومات تم اختيارها وتقييمها وتفسيرها وأخيرا يصاغ ذلك البيان بطريقة تجعل أهميته واضحة تماما فيما يختص بمشكلة السياسة القومية).

وقد وصف الليفتنانت جنرال جيمس دوليتل عمليات المخابرات فقال (الحصول على المعلومات وجمعها شيء وتصنيف وإيضاح هذه المعلومات شيء ثان أما استخدامها فهو أمر ثالث غير الأولين).

أما تعريف دائرة المعارف البريطانية للمخابرات فقد كان (المخابرات هي جمع المعلومات عن خصم أو حتى عن حليف أو عن دولة محايدة.. والمخابرات المضادة عبارة عن تأمين الأسرار الخاصة بالدولة ذاتها. والمخابرات وإن كانت تهتم أساسا بمسائل الحرب والدفاع وقت السلم إلا أنها تهتم أيضا بجمع المعلومات الدبلوماسية والاقتصادية والصناعية وتأمين تلك المعلومات).

وفي حوار للمشير الراحل أحمد إسماعيل على عندما كان رئيسا للمخابرات العامة المصرية (لمجلة المصور) أشار إلى أن الاصطلاح العربي (مخابرات) لا يستوعب جميع واجبات المخابرات وقد يكون الاصطلاح الأجنبي (In Telligence) هو الأدق وترجمته الحرفية تعني (أجهزة ذكاء) أي معرفة وتعرف كاملين وقدرة على استخدامها والإفادة منها.

وقد قال شيرماكنت (لو كانت السياسة الخارجية هي درع الدولة كما يقول وولترليمان فإن المخابرات الاستراتيجية هي الشيء الوحيد

الذي يجيء بهذا الدرع إلى المكان الصحيح له وفي الوقت المناسب لهذا ثم هي أيضا الشيء الذي يقف على أتم الأهبة لتوجيه السيف).

وبذلك فقد اتفق الجميع على تفسير كلمة المخابرات بأنها المعلومات في مراحل متعددة مرحلة جمعها ومرحلة وضعها في الشكل الذي يجعلها ذات فائدة ومرحلة الاستعادة).

وفي النهاية يمكن أن نقول عن المخابرات أنها (الخطى المتناسقة المدروسة والموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها لإمداد المسئولين بالحقائق والتقديرات الواقية وفي الوقت المناسب لوضع استراتيجية الدولة وارسم سياسات معينة ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة وللعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة في أية صورة من الصور ومن هنا فإن تعريف المخابرات ينقسم إلى مستويين الأول هو المعنى العادي ويتضمن القدرة على التعلم والاستفادة من التجارب والاستجابة السريعة لأي موقف جديد أما المعنى الفني للمخابرات فيحدد بوضوح مهمتها وواجباتها لأن المخابرات كعملية أو كنشاط تعني المجهود المنظم لجمع المعلومات وتقديرها قطعة قطعةَ وتجميعها معا حتى تتكون منها صورة اكبر وأكثر وضوحا إلى الحد الذي يمكن من رؤية

الأشياء المتوقعة أي أنها نشاط متواصل لاختراق الضباب المخيم على الحرب الدبلوماسية حتى يمكننا أن نرسم خطط الغد.

وقد جاء تعريف الجاسوسية بين الدول في دائرة المعارف البريطانية كما يلي (أنها محاولة للحصول بطريقة سرية أو بوسائل ادعائية مزيفة على معلومات عن حكومة ما من اجل حكومة أخرى وأن الجاسوسية تمارس منذ آلاف السنين وأن الكثير من الحكومات تستخدم جواسيس ومخبرين وعملاء سريين لكي يزودوا الهيئات التي تستخدمهم بالمعلومات والأحوال والأنشطة والآراء والعلاقات التي تسود أهل البلد الذي يعملوا فيه).

والجاسوسية هي ذلك الجهد من مجهود المخابرات الشامل الذي يهدف إلى التفتيش السري على مجهودات الآخر للتحقق من قوتها وتحركاتها وهي المجهود للكشف بواسطة طرق خفية عن أسرارا الآخرين. وبسبب الظروف والمصاعب التي تكتنف الجاسوسية فهي واجب مستقل قائم بذاته على أنها في تحليلها النهائي لا تزال تعتبر جزء لا يتجزأ من التخطيط الإجمالي الشامل للمخابرات.

أنواع المخابرات والجاسوسية

تقوم وظيفة جهاز المخابرات على جمع المعلومات أو الحصول عليها ثم تقدير أهميتها لتصبح بعد ذلك معلومات مخابرات توزع على

أولئك الذين يحتاجون إليها.. ويختلف نوع المخابرات حسب المهمة المكلف بها وفيما يلي أهم أنواع المخابرات.

- المخابرات الإيجابية.. وهي الجهود التي تقوم بها إدارات المخابرات ضد الدول الأخرى.

- المخابرات الوقائية.. وهي الإجراءات والعمليات التي تكفل للدول الحفاظ على أسرارها وعدم تعرضها للضرر.. وقد يطلق عليها أيضا المخابرات المضادة أو المخابرات السلبية.

ويختلف مهام المخابرات باختلاف الموضوعات التي تعالجها وهي مستعدة سواء على المستوى التكتيكي أو الاستراتيجي ومنها.

- المخابرات العسكرية – والتي كانت تبدو كأنها شاملة لكافة المجالات العسكرية أصبحت الآن تنقسم إلى مخابرات خاصة بالجيش وأخرى بالقوى الجوية وثالثة للقوات البحرية وكل منها تنقسم إلى مجالات عديدة من التخصص.

- المخبرات الجغرافية.. والتي كانت تهتم بالمعلومات الخاصة بطبيعة الأرض والبر والجو من اجل الخطط العسكرية قد انقسمت هي الأخرى إلى أقسام كبرى هامة فقسم خاص بالطبوغرافيا وآخر بالأرصاد الجوية والطقس وثالث للهيدروجرافي والنقل والذي كان

يدخل ضمن المخابرات الجغعرافية أصبح يستأثر بقسم كبير خاص به.

- المخابرات التكنولوجية.. وقد ذادت أهميتها بعد التقدم السريع الذي طرأ على الأسلحة والتسليح وأصبحت ذات أهمية حيوية خاصة بالأمن القومي ومنها نشأت المخابرات العلمية التي يتفرغ منها أقسام متخصصة في التفجير الذري والإلكترونات والصواريخ الموجهة والمواصلات السلكية واللاسلكية والحرب البيولوجية والكيماوية.

الحرب السياسية

هي عمليات المخابرات التي تتعامل مع الأفكار والآراء والعقائد من شخص لآخر وهي التي تعمل بدون عنف على نقيض الحرب العسكرية وقد أطلقت انجلترا مصطلح (الحرب السياسية) ولكن ألمانيا أسمتها (الحرب الثقافية) وفي روسيا يقال عليها (الدعاية) وفي أمريكا (الحرب النفسية أو العمليات المعنوية).

الدعاية

هي فن التأثير والممارسة والسيطرة والإنجاح والتغيير والترغيب أو الضمان لقبول وجهات نظر أو آراء أو أعمال أو سلوك وتنقسم الدعاية إلى..

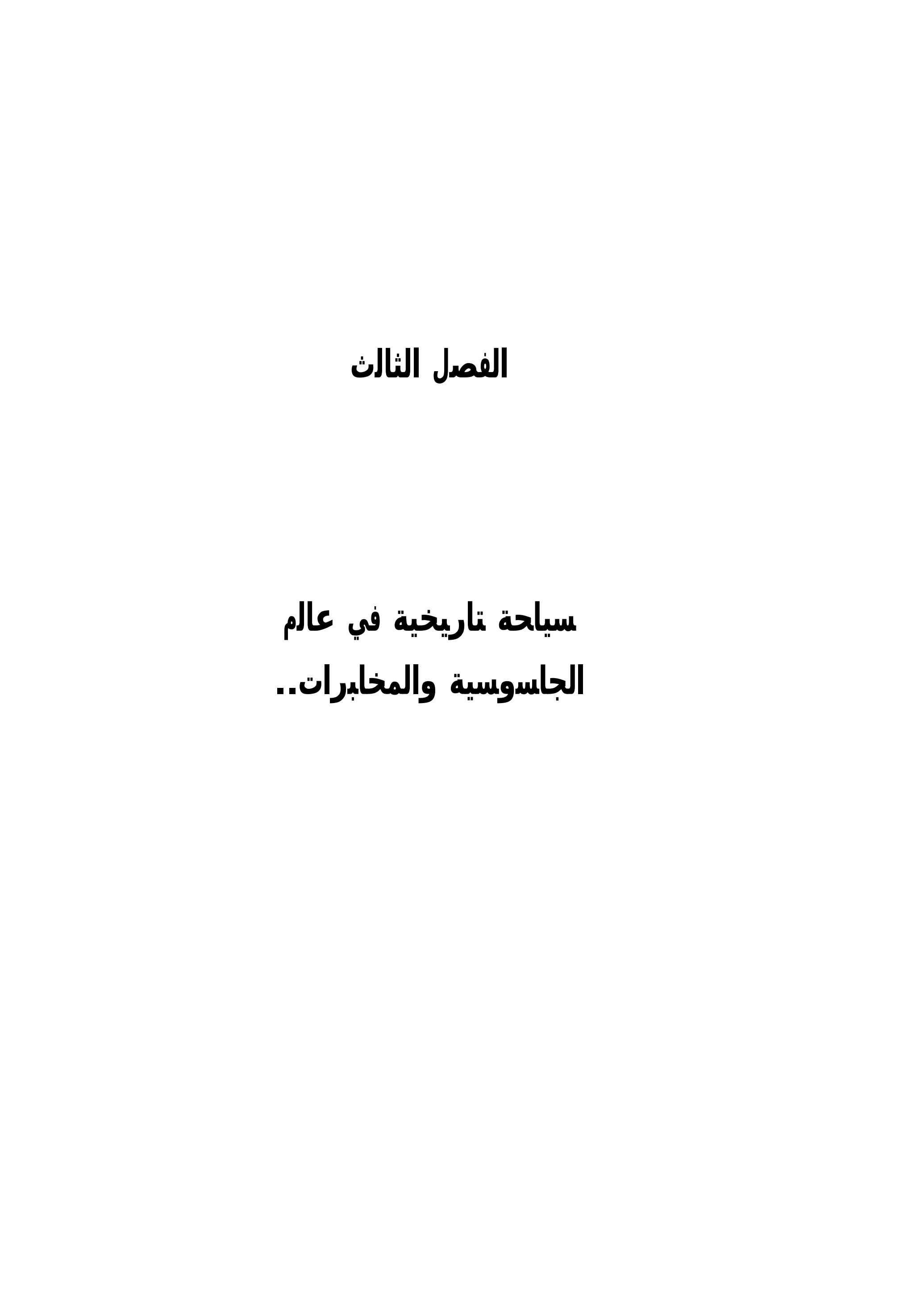
١ – **الدعاية البيضاء:** وهي النشاط العلني الذي يحمل اسم الدولة وتوجهة لكي تعضد مركزها.

٢ – **الدعاية الرمادية:** وهي واضحة المصدر ولكن تخفي اتجاهاتها بقصد خدمة هدف محدد معين.

٣ – **الدعاية السوداء:** وهي عملية مخابرات جوهرية أساسية ولا تكشف مطلقا عن مصدرها الحقيقي.

وتعتمد الدعاية على وسائل الاتصال التقليدية مثل الراديو أو الكتب أو المنشورات والسينما والشائعات وقد وضع كل من البورت وبوشمان قانونًا في شكل معادلة جبرية عن الشائعة وهو شدة الشائعة = الأهمية × الغموض.

* * *



الفصل الثالث

سياحة تاريخية في عالم الجاسوسية والمخابرات..

سياحة تاريخية في عالم الجاسوسية والمخابرات..

اعتقد أن الإنسان منذ وطئت قدماه سطح الأرض أصبح مضطرا لتعلم (فن المخابرات) بحثا عن (الأمن) والحياة المستقرة.. ويؤكد ديرموند موريس في كتابه (بيولوجيا الفن) والذي نشر في عام ١٩٦٢. أن الإنسان قد تعلم من الحيوان فنون البص والترقب والترصد وأيضا التجسس وذلك بدافع الاحتفاظ بمكاسبه التي حققها وأرضه التي يسكن فوقها ومن أجل حماية نفسه من مجهول ينتظره قد يأتي بخطر يتمثل في أعدائه المحيطين به سواء من الحيوانات أو البشر أو الطبيعة نفسها. ويرى موريس أن هذا السلوك قد ساعد الإنسان على التقدم في كافة شئون الحياة.

وفي حديث أجرته مجلة (لير) الفرنسية مع جون لوكاريبه في مايو ١٩٨٦ أشار إلى أن الجاسوسية تقليد أزلي منذ زمن إسبرطه حيث كون العملاء السريون ما يسمى (القومة السرية كربتيا Kredtia) وها نحن بعد قرابة عشرين قرنا من إنشاء أول قوة سرية فإن الكربتيا لا تزال قوية وتتمتع بنفس درجة السرية وتمارس بنفس الشعائر.

ويقول آلان دالاس رئيس المخابرات الأمريكية الأسبق. إن تاريخ المخابرات قديم قدم المنافسة بين المجتمعات والأمم وعند تصورنا

لأسلوب حياة الإنسان منذ العهود المغرقة في القدم منذ بداية الحضارة الإنسانية في مجتمع الصيدو القنص حيث كان على الإنسان أن يقتنص الحيوان ومن اجل صيد حيوان معين كان على الإنسان البدائي أن يعرف الكثير عن هذا الحيوان يعرف المكان الذي يحتمل تواجد الحيوان فيه ثم أنسب الأوقات للانقضاض عليه والطريقة التي يبدأ بها الهجوم عليه وأي الأسلحة يستخدمها (الحجارة أم الهراوة) ضده ثم اختيار أضعف أعضاء الحيوان التي يوجه لها ضربته. وليأمن الإنسان على نفسه من الحيوان كان عليه اختيار الكهف الذي يتمكن من إحكام غلقه بواسطة قطعة مناسبة من الحجارة وأن يختار الأماكن التي يتواجد فيها أثناء ممارسته لحياته اليومية تحت هذه الظروف ويعتمد أساسا على فطنت وذكائه مستخدما ما يتيسر له من وسائل مدفوعا إلى ذلك بالغرائز البشرية التي لازمته منذ ولادته.. ومن وجهة نظر المخابرات نجد أن الإنسان البدائي كان يمارس نشاط المخابرات في صورة بسيطة جدا إلا أنها في الحقيقة تمثل جوهر المخابرات بأبعاده المختلفة الإيجابية والدفاعية. وهكذا كانت أعمال المخابرات سلوكا بشريا تواجد مع الإنسان منذ بدء الخليقة مارسها في سبيل تحقيقه احتياجاته وفي سبيل تحقيق حماية نفسه ومع تطور الإنسان حضاريا واجتماعيا تطورت حاجته إلى المخابرات وتقدمت

وسائله في استخدامها فمنذ أن صارت القبيلة وحدة اجتماعية وقاتلت ضد القبيلة الأخرى لدوافع الغيرة أو بسبب الخيلاء وتعظيم النفس والذات أو لصيانة النفس والذات كان للمخابرات دورها الحاسم في تحقيق النصر أو الهزيمة وسواء كان القتال للدفاع أو للهجوم فلقد كان على قادة أي تكتل اجتماعي أن يعرفوا كل ما يمكن عن قوة وضعف التكتل الآخر.

ويضيف دالاس. ما دامت قد تواجدت حاجة ملحة لحماية المصالح الحاسمة لحاكم أو لدولة أو لحكومة كانت هناك حاجة ملحة للمخابرات وهكذا كان من الممكن أن نجد في أقدم التسجيلات لحوادث التاريخ أقدم صور الاستخدام للمخابرات.

المخابرات الفرعونية

يؤكد علماء التاريخ على أن المخابرات فن فرعوني قديم حيث كان للمصريين القدماء نظام تجسس منذ خمسة آلاف عام وكانوا يعتبرون التجسس على أعدائهم فنا رفيعا ولونا من ألوان العلم الحربي وفي كتابه عن وكالات الاستخبارات أكد الباحث الأمريكي آلن دولز على أن الفراعنة قد عرفوا أشد النظم حداثة في التجسس من أجل الحفاظ على أسرار الكهنوت والعلوم المتقدمة آنذاك.

ويقول ممدوح عيسى في مجلة (المهندسون العسكريون) يناير ١٩٥٦ إن النقوش قد دلت على أن الفراعنة كانوا يبثون العيون في داخل البلاد وخارجها فكان حاجب الفرعون المقرب إليه يلقب (عينا ملك الوجه القبلي) و (أذنا ملك الوجه البحري) مما يدل على أن هذا الحاجب كان في عاصمة الملك يتفقد للفرعون كل شيء بنفسه كما كان له متسمعون يأتون إليه بالأخبار عما يدور في الوجه البحري من أشياء خفية.

وقد دلت ألواح تل العمارنة على أن فرعون كان يستخدم الجواسيس في كل بقاع المستعمرات المصرية وفلسطين وسوريا وكذلك في الممالك المتحالفة معه كما – كان يستخدم أمراء المستعمرات أنفسهم جواسيس على بعضهم البعض ويقول لاديسلاس

فاراجو (المصريون القدماء كانت لهم إدارات مخابرات منظمة قبل عصر السيد المسيح بعدة قرون وذلك بالرغم من أن تقصيرا في مخابراتهم المضادة جعل السير بازيل طومسون (رئيس مكافحة الجاسوسية في بريطانيا أثناء العشرينات) يلاحظ انه لو كان لفرعون موسى إدارة مخابرات قديرة لما حدث (خروج اليهود) من مصر.

ويضيف رونالد سميت أن سجلات قدماء المصريين قد احتوت كل ما يفيد قيامهم بأعمال عظيمة في المخابرات قبل حادث طرواده بعدة قرون خلال حكم الأسرة الثانية عشر ٣٦٠٠ – ٣٤٠٠ ق. م.

جواسيس الأجولة..!

عندما هم تحوتمس الثالث أثناء حكم الأسرة الثانية عشر ٣٦٠٠ – ٣٤٠٠ ق. م أن يفتح مدينة (يافا) استعص عليه الأمر فلجأ إلى الخديعة والمفاجأة والحيلة وذلك عندما مكر بحاكم المدينة فأدخل في روعة انه ساخط على أعمال فرعون عازم على الغدر به والانضمام إلى عدوه وظل تحوتمس يراسل حاكم المدينة من خارج الأسوار محتالا حتى جازت عليه الحيلة وخرج الحاكم لمقابلة القائد ولما أطمأن كل منهما إلى صاحبه أخذ القائد المصري يقص على حاكم يافا من أخبار قوة فرعون مما أثار دهشته وأرهب قلبه ولكن القائد في آخر الأمر ذكر لحاكم يافا انه على علم بسر قوة فرعون بل انه يملك

هذا السر وهو عصا سحرية يمتلكها فرعون يضرب بها الأرض فيعطيه ا   ما يشاء وطلب حاكم يافا من القائد أن يريه هذه العصا فاشترط تحوتمس أن يكونا على انفراد فلما اختلى بالحاكم عاجله بضربة قوية فصرعة ثم عهد إلى مائتين من الجيش المصري فأخفاهم داخل (غرائر الدقيق) ووضعهم على ظهر سفينة كانت متجهة إلى يافا وجعل قيادتهم لرجل اسمه (توت) وأمر تحوتمس طائفة من الجنود المصريين بحراسة الغرائر وأوصاهم بإطلاق من فيها من الجنود إذا دخلوا المدينة وتقدم الجميع سائس خيل الحاكم يحمل رسالة وهمية من الحاكم إلى زوجته ولم تكد أبواب المدينة تفتح في وجوههم حتى نفذوا أمر القائد وانطلق الجنود يثيرون الفوضى والهرج الذي أضعف حامية المدينة فاحتل المصريون مرافق يافا بينما هاجمها الجيش من الخارج وبتلك الحيلة البارعة تمكن تحوتمس من اقتحام يافا والاستيلاء عليها. وسوف يشهد التاريخ بعد ذلك تكرارا لهذه الطريقة التي ابتكرها القائد الفرعوني تحوتمس ولعل ذلك كان واضحا تماما في قصة (حصان طروداة) وقصة (على بابا والأربعين حرامي).

رمسيس قاهر الجواسيس

في عصر رمسيس الثاني وفي معركة قادش كان الحيثيون قد تزعموا الحلف المعادي لمصر وأخذوا يثيرون الفتن في سوريا وفلسطين فاضطر رمسيس الثاني في سنة ١٨٩٤ ق. م إلى الخروج على رأس جيش كبير قسمه إلى أربعة فيالق يعتمد كل منها على نفسه. ثم تحركت هذه الفيالق حتى دخل اثنان منها إلى مشارف مدينة قادش التي اتخذها العدو مركزاً للفتن والمؤامرات. وهنا لجأ العدو إلى تدبير حيلة بارعة فقد ظهر فجأة في احد المعسكرات المصرية بدويان من أهل المنطقة أدعيا أنهما قد فرا من جيش العدو وأن ملك الجيش الحيثي قد تقهقر بجيشه شمالا إلى مدينة حلب خوفا من الجيش المصري وظل المصريون في شك من هذه العملية حتى أنهم قاموا بضرب البدويين ضربا مبرحا ليعترفا بالحقيقة ولكنهما أصرا على أقوالهما وهنا تقدم الفيلقان المصريان دون حذر لتصديقهما أخبار انسحاب الحيثيين. وفجأة انقض عليهم جنود العدو الذين كانوا مختبئين وراء مشارف قادش وأحاطوا بهم من كل جانب وكاد المصريون أن ينهزموا لولا وصول رمسيس الثاني ومعه بعض حراسه وبعض الجنود فقام بشغل مؤخرة جيش العدو حتى وصلت باقي القوات المصرية وأمكنهم في النهاية دخول قادش بصعوبة.

أنثى الفرس.. جاسوسة

وقد كتب القائد أمنحتب على جدران مقبرته عن حادث طريف وقع شمال سوريا فمنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة أرسل قائد قوات العدو في أثناء حصار المصريين لإحدى مدنه (انثى فرس) عمدا إلى مواقع الجيش المصري قاصدا بذلك إيقاع الاضطراب بين الخيول الذكور (حيث كانت كل الخيول التي تجر العجلات الحربية من الذكور) وبذلك يربك صفوف القوات المصرية ولكن أمنحتب فطن لتلك الحيلة وهجم على تلك الفرس وبقر بطنها فماتت.

الصين ونظرية التجسس الأولى

يرجع إلى الصيني (صون تسو) قبل أربعمائة عام من الميلاد انه أول من قام بالتنظير ووضع الأسس والقواعد لأساليب التجسس وإنشاء مؤسسة للمعلومات في مملكته. وقد أكد الباحث الأمريكي ألن دولز أن الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونج كان من أشد المعجبين بما كتبه صن تسو وأنه أوصى بأن يدرس فصلين من كتابه (فن الحرب) في المدارس العسكرية الصينية. وفي هذا الكتاب قام تسو بتصنيف العملاء السريين وأظهر كيفية التقاطهم وتدريبهم والتعامل معهم واختيارهم في الظروف الحربية الصعبة وكيفية غش العدو (المخبر المدسوس) وكيفية التأثير سلبا على معنوياته وذلك بإشاعة

الأخبار الكاذبة أي (الحرب النفسية) كما تسمى حاليا وأوصى تسو في القتال الليلي باستعمال الطبول والنيران العالية بكثرة وفي القتال النهاري تستعمل أعداد كبيرة من الأعلام؟ وبذلك ترعب عيون العدو وآذانه.

وقد ضمت الحكايات الصينية القديمة أسطورة عرفت تحت اسم (الممالك الثلاثة) والتي دونت فيما بعد في القرن الرابع عشر الميلادي وتدور الأسطورة حول حرب المائة عام في الصين وكيف أن استراتيجية هذه الحرب كانت تقوم على العملاء السريين وعلى مهارتهم في توصيل المعلومات من الطرف المحارب إلى الطرف الآخر وقد استطاع المنتصرون أن يحصلوا على اكبر قدر من المعلومات العسكرية حتى يتمكنوا من هزيمة خصومهم.

الساحر الصيني.. جاسوس

حاول ذات مرة الإمبراطور (المغتصب للعرش) وانج مانج أن يدمر قبائل (الهون) بجيش يشتمل على قسم من (السحرة والعرافين العسكريين) بالرغم من أن إمبراطور الهون العسكري وجد أن الوسائل الصحيحة المستقيمة هي خير ما يمكن الاعتماد عليه ولكن وانج مانج كان تواقا إلى التجديد ولا يبرأ من هذا الشغف المزمن إلا باستحداث الوسائل غير العادية واستخدامها ففي سنة ٢٣ ميلادية

وأثناء كبح جماح حركة ناجحة لثوار خارجين على حكمه جمع كل الحيوانات الموجودة في حدائق الحيوان الإمبراطورية وبعث بها بما فيها النمور والفيلة والخراتيت وحيدة القرن لإثارة الرعب في صفوف العدو ولكن الثوار كانوا سباقين بالمبادأة في الهجوم فقتلوا القائد الإمبراطوري وانج صن وفي خضم الاضطرابات انطلقت الحيوانات الضاربة من عقالها داخل جيش الإمبراطور نفسه وأفزعت الجنود وحدثت بالصدفة في نفس الوقت عاصفة عاتية ذادت الموقف المضطرب من سيء إلى أسوأ وكانت النتيجة هزيمة جنود الإمبراطور الذي فقد السيطرة على أعصابه فتأثرت نفسيته واعتلت صحته وأسرف في احتساء الخمر وترك كل شيء للظروف وفقد القدرة على النوم في الفراش فأصبح يرقد جالسا على أريكة.. وقد قتل وانج مانج في نفس العام وبقيت الصين بلا منهج سياسي حتى عصر (وانج آن شيه) ١٠٢١ – ١٠٨٦ ميلادية أي بعد قرابة ألف عام من مقتل وانج مانج.

التشهير السياسي

وقد برز دور التشهير السياسي من خلال الرواية الصينية الشهيرة (سان كيو) في إطار النص المزعوم بالإعلام عن وجود جماعة موالية تناصر الثوار من (الهون) عند ابتداء العمليات العسكرية

قرابة سنة ٢٠٠ ق. م وللنص طرافته وذلك لأنه يجمع من مختلف الأعمال والمهارات الفنية ولكنها منطقية ومعقولة وهي (تسمية العدو المعين – التوسل إلى الناس ذوي الفضل – العطف على عامة الناس – تعضيد الحكومة الشرعية – تأكيد قوة الفرد وروحه المعنوية العالية – التضرع للعمل على قيام هذه الجماعة باحتفال رسمي كبير ويقول الإعلان (يواجه بيت هان أياما مليئة بالشرور لقد انحلت روابط السلطة الإمبراطورية ولقد انتفع الوزير الثائر (تونج شاو) من الخلاف والنزاع ليرتكب الشرور وقد حلت النكبات على الأسر الشريفة وعمت القسوة وشملت كل الجماعات العادية الفقيرة. وقال (شاو) وزملاؤه في غمرة خوفنا على سلامة الامتيازات الإمبراطورية قد جمعنا القوات العسكرية لإنقاذ الدولة ونتعهد معا على أن نبذل غاية ما في قوتنا ومن الضروري ألا يكون هناك محل لأي بلبلة ولا لأي عمل وراءه نسلا له ويشهد ا في السماء ولتشهد أمنا الأرض ولتشهد الأرواح الواعية لأسلافنا القدامى على كمل ما قلناه.. اللهم قد بلغنا..).

الهند.. فن الحكمة والجواسيس!

في الكتاب الهندي الكلاسيكي عن (فن الحكمة) والمسمى (أرثازا إسترا لكوتيليا) نجده يقول (إن المنجمين وغيرهم من أتباع

الملك يجب أن ينفخوا في الجيش عن طريق تأكيد الصبغة القومية لتنظيمات جيشه كما يجب أن يقوم العملاء السريون بالاختلاط بقوات العدو لنشر الإشاعات عن هزيمته الأكيدة.

وفي الهند عرف أيضا كتاب شفوي تتوارثته الأجيال منذ أمد بعيد يتضمن العديد من التقاليد المتبعة في إحضار المعلومات ورصد حركات الخصوم والأعداء وكما جاء في كتب التراث الهندية فإن الإله براهما قد أوصى احد الحكماء بهذه المقولات (أرسل جواسيسك بأسرع مما تتحرك قدماك ولا تدع نفسك تهلك لا من الأقربين اك أو من الأجانب. تجسس عليهم وأعرفهم).

اليونان.. الطابور الخامس وحصان طروادة

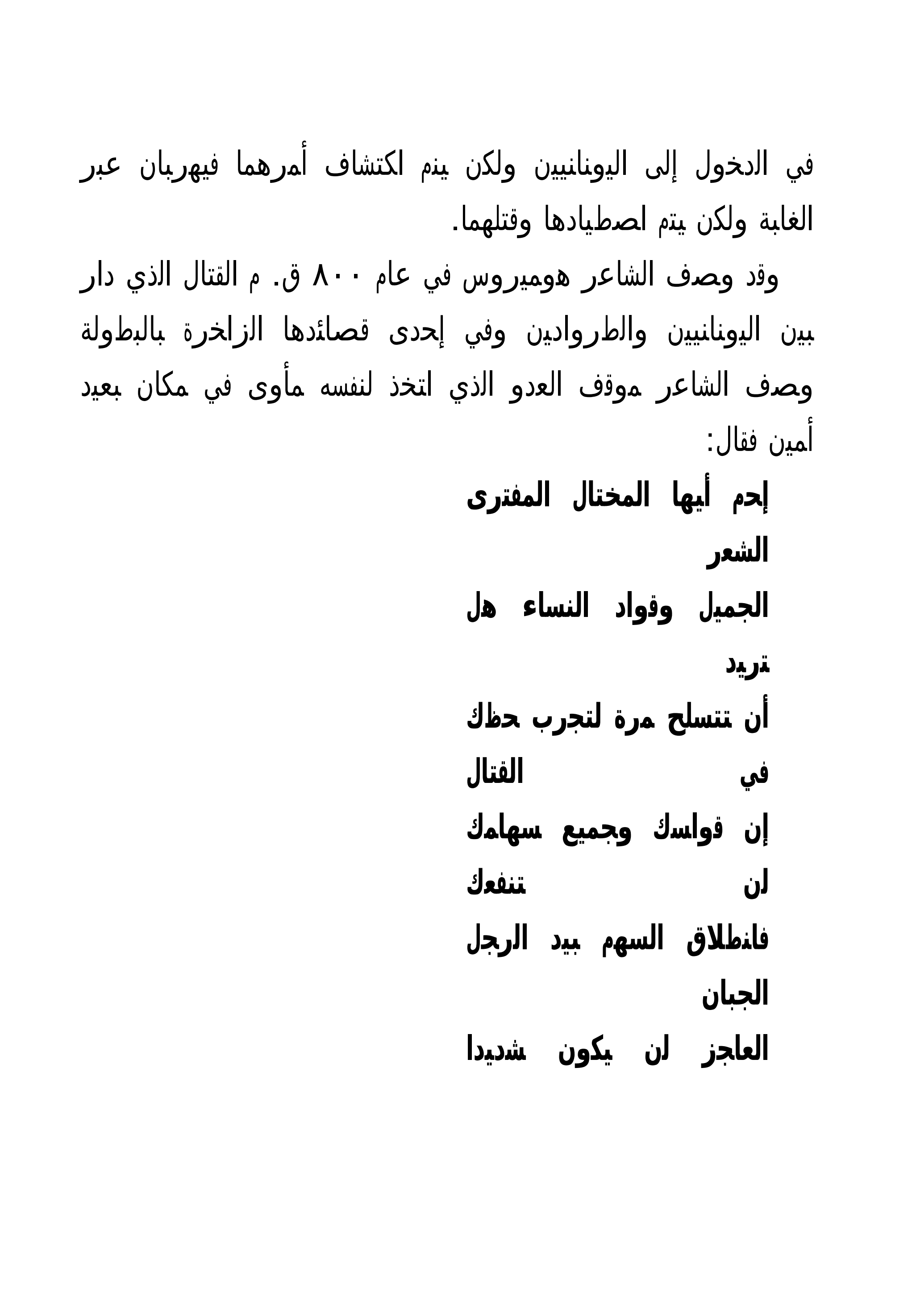
عرف في اليونان القديمة ما يسمى (بالطابور الخامس الخاص) وقد سار هذا الطابور من قبل السلطات الحاكمة اليونانية على قواعد ظلت تتبع في عالم الجاسوسية حتى القرن التاسع عشر ومنها أن القيادات في الطابور الخامس لا يعرفون بعضهم البعض ولا يسألون عن الخطط التي يكلفون بها بل عليهم فقط التنفيذ.

وقد حفلت ملحمه الألياذه لشاعر اليونان الكبير هوميروس بالكثير من أعمال المخابرات والجواسيس فقد استمر القتال أمام أبواب طروادة قرابة عشر سنوات وكان قتالا ضاريا وسجالا بين اليونانين

والطرواويين وسقط الآلاف من القتلى وقد قاوم الطرواديون ببسالة محتمين بأسوار مدينتهم العالية والتي عجز اليونانيون عن تسلقها وإزاء هذا العجز ذهب (كالخاس) عرف الحملة إلى آلهته يستوحيها ثم هرع إلى سادته قادة الجيش فذكر لهم أنه ما دام تمثال (مينرفا) المقدس موجودا في طروادة فلن يفتحها على أهلها فاتح ولو عاونته الأرباب جميعا. فتنكر (أو لسيوس) ومعه (ديوميديس) ويذكر هوميروس في الكتاب العاشر من الألياذه وصف هذه المهمة حين اكتشف المحاربون اليونانيون أسيرا فراحوا يستقون منه المعلومات ثم قتلوه وكانوا بذلك يسعون لمعرفة كل ما لدى العدو وقد انطلق أوليسيوس ومع ديوميديس إلى الحصن واحتالا على حارس البوابة الكبرى ففتحها لهما وذهبا إلى الهيكل وسرقا (البالاديوم) المقدس وعادا به وكل همهما أن تبطل نبؤة (كالخاس) ومع ذلك توالت الأيام ولم تفتح طروادة وحينئذ بدا لأوليسيوس أن يصطنع حيلة فصنع حصانا خشبيا واسعا وعريضا يتسع له ولرفيقه ولأثنى عشر من خيرة رجاله بكامل أسلحتهم. وتظاهر باقي الجيش بأنهم ينسحبون على ظهر السفن وكأنهم يعودون إلى الوطن وفي ذلك الوقت نجح (سينون) في إقناع ملك طروادة وشعبها بإدخال الحصان إلى المدينة وهي تحتفل بالنصر الزائف وقد كانت قصة سينون مختلفة بمهارة ومحبوكة

الأطراف وتدل على الحنكة والدهاء ومقنعة إلى الدرجة التي دفعت أهل المدينة إلى هدم الجدران لإدخال الحصان الذي كان حجمه لا يسمح بإدخاله من الأبواب وبعد أن مضى شطر من الليل أقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكارا لهذه الحرب وفي الهزيع الأخير من الليل حين هجعت كل طروادة فتح سينون الباب الخلفي للحصان فتسلل أوليسيوس ورجاله وأعطوا الإشارة للأسطول لكي يهاجم فاحتل المدينة العاتية وذبحوا جنودها النائمين وأشعلوا النار في دورها وحين طلع الصباح كانت طروادة أكواما من الأطلال كأن لم تكن بالأمس مدينة كبيرة آهلة بالحياة والسكان وفي ألياذه هوميروس أيضا كانت سرقة جياد روسوس عملا مشروعا في الحرب من اجل المعرفة ثم سؤال الأسرى وإجبارهم على الاعتراف بما يعرفونه ومعرفة نوعية العلاقات التي تربط ما بين الملك (أجاممنون) والحكيم نستور ومحاربيه.

وفي الكتاب التاسع من أنياذة فرجليوس يرى بعض الجنود الذي توكل لهم مهمة التسلل إلى مواقع العدو ويذهب إلى هناك اثنان في مهمة انتحارية وهما ينسوس وأوربال اللذان يقبلان المهمة مهما كانت المخاطر التي يتعرضان لها وذلك بدافع الواجب والإخلاص وينجحان



في الدخول إلى اليونانيين ولكن يتم اكتشاف أمرهما فيهربان عبر الغابة ولكن يتم اصطيادها وقتلهما.

وقد وصف الشاعر هوميروس في عام ٨٠٠ ق. م القتال الذي دار بين اليونانيين والطرواديين وفي إحدى قصائدها الزاخرة بالبطولة وصف الشاعر موقف العدو الذي اتخذ لنفسه مأوى في مكان بعيد أمين فقال:

إحم أيها المختال المفترى الشعر
الجميل وقواد النساء هل تريد
أن تتسلح مرة لتجرب حظك في القتال
إن قواسك وجميع سهامك لن تنفعك
فانطلاق السهم بيد الرجل الجبان
العاجز لن يكون شديدا

وفي هذه القصية التي يذم فيها هوميروس الطرف الآخر صورة لما كان يقوم به المحاربون الأولون حيث كانوا في كلا الجيشين اللذين يقفان وجها لوجه يتبادلون الشتائم حتى يؤثر كل طرف في الروح المعنوية لدى الطرف الآخر.

رسالة الحجر

حينما كان تيموستكليس الإغريقي (٢٥٧ – ٤٦٠ ق. م) يحارب الفرس في معركة أريتمسيوم استطاع هذا السياسي المحارب أن يضم إليه الأيونيون أهل جزر البحر الأيوني إذ قام بجمع أفضل سفن الملاحة لدى الأثنيين (أهل أثينا) وذهب إلى مكان تتوافر فيه مياه صالحة للشرب ثم حفر في الصخور بعض سطور موجهة إلى الأيونيين وفي اليوم التالي حينما وصل الأيونيون إلى أريتمسيوم أرض المعركة وجدوا نقوشا محفورة في الصخور تخاطبهم قائلة (يا رجال أيونيا أنكم تخطئون بالقتال ضد أبائكم بمعاونتكم على استعباد اليونان ولهذا نناشدكم الانضمام إلينا فإن لم تستطيعوا فأبعدوا قواتكم عن المعركة وحثوا أهل (كاريا) على أن يفعلوا مثلكم وإذا لم تستطيعوا لا هذا ولا ذاك وتجدون أنفسكم مرتبطين بضرورة ملحة فتمارضوا عندما نشتبك في القتال واذكروا دائما أنكم من نسلنا وأن العداء بيننا وبين المتوحشين إنما هو من أجلكم).

ويقول المؤرخ (توليبوس) الذي عاش بين عامي (٢٠١ – ١٢٠ ق. م) إن القائد يجب أن يواظب على دراسة ميول واتجاهات وشخصية خصمه.

إفريقيا.. التجسس خاف خطوط العدو

كان القائد الأفريقي (سيبيو) والذي عاش بين سنة ٢٣٧ – ١٨٣ ق. م وهزم هانيبال سنة ٢٠٧ ق. م كان يستعد ليقود حملته ضد (سيناكي) ملك نوميديا الغربية (مكانها الحالي شرق الجزائر) وحليف هانيبال القرطاجي فأرسل سفيرا ليناقش أمر الهدنة بين الجيشين ولكنه في الواقع كان يبعث بسفيره هذا ليتعرف على قدرة ملك نوميديا وقواته على القتال واختار لهذه السفارة احد كبار قوادة (لاليوس) وبعث معه بعض ضباطه متخفين في ثياب الرقيق ورغم ما صادفه لاليوس من متاعب بسبب حرص سيفاكي وما اتخذه من إجراءات لإبعاد لاليوس ومن معه عن التحصينات فقد أطلق رجال لالبوس احد جيادهم وراحوا يطاردونه بطريقة جعلته يسرع في الاقتراب من معسكر سيفاكي وأسرعوا خلفه يطاردونه حول المعسكر بل وفي داخله وعندما أمكن القبض على الحصان كان الرجال قد عرفوا أوضاع التحصينات ومدى قوتها وفشلت مهمة لاليوس في الاتفاق على الهدنة كما كان مقدرا لها وبعد وقت قصير هاجم سيبيو

معسكر سيفاكي وأشعل النار في التحصينات وأربك خطوط قواته حتى اضطر سيفاكي إلى طلب الصلح.

وكان اعتماد (هانيبال) القائد القرطاجي الشهير ٢٤٧ – ١٨٣ ق. م على أعمال المخابرات في حروبه يحقق له النصر في معظم غزواته فلما صعب عليه الاستيلاء على إحدى المدن التي حاصرها في حملته على صقلية لعدة شهور أدرك انه لن يتمكن من الاستيلاء على هذه المدينة إلا بعد أن يلم إلماما تاما بدفاعاتها فبعث بعميل له أدعى أنه جندي محترف من أهل صقلية ولما سمع بما تعانيه المدينة قدم إليها يعرض خدماته واستطاع هذا العميل أن يوجد له إقامة دائمة بالمدينة وأخذ يتجول فيها ويدرس تحصيناتها دون إثارة الشك فيه وكانت وسيلة الإشارة بينه وبين هانيبال هي الدخان المتصاعد من نيران يوقدها لطهو طعامه فوق تل بالمدينة ونجحت الخطة.

وفي تقدمه نحو روما كان لها نيبال جيش من العملاء يعملون في وادي نهر (البو) وفي السهول على الألف لأسفل ويحصلون له على المعلومات عن خصب الأرض ومعنويات سكانها وعلى أساس هذه المعلومات وضع الكثير من خططه التي وصلت به إلى مقربة النصر النهائي ولما كانت الفيلة تمثل سلاح هانيبال المدرع في هذا العهد والتي تعينه على تحقيق النصر تلو النصر فقد جاهد أعداؤه كثيرا

ليعرفوا طريقة للتغلب عليها وتمكن عملاء القائد الروماني سيبيو الأفريقي من الاختلاط بسياس الفيلة إلى أن علموا منهم نقطة الضعف بالنسبة للفيلة وهي إزعاجها بواسطة الأصوات المدوية وعندما تقابل جيشا سيبيو وهانيبال قام سيبيو بإحداث ضجة كبيرة من استخدامه للطبول في مواجهة الفيلة التي سادها الذعر والارتباك وفقد هانيبيل السيطرة عليها وتحقق لسيبيو النصر.

عرب الجاهلية.. التاجر الجاسوس والنذير العريان

عرف العرب في الجاهلية الغزو كمورد للرزق وطلبا للمراعي والماء وغالبا ما يكون الطمع دافعا للغزو فقد طمعت القبائل الرحل بأهل الحضر لما عندهم من وسائل عيش ومراع خصبه ومن هنا كانت هذه القبائل تغير على المدن. وكان لازما على أهل الحضر تعزيز أنفسهم بالحصون ومراكز المراقبة وبناء الأبراج العالية لمراقبة الغزاة، كما يتم توفير الأسلحة بمختلف أنواعها وتتخذ الحراسات ويستعمل الجواسيس لمساعدتهم في الدفاع عن أنفسهم وأرزاقهم بحيث يحصلون على هذه المعلومات أولا بأول لاتخاذ الحيطة والحذر.

كما عمد العرب في الجاهلية إلى استخدام العيون للتجسس على الأعداء في صورة تجار أو مسافرين أو على هيئة سرايا صغيرة

تتقص آثار العدو وتسأل من تلتقي به من الركبان عنه، وقد تقبض هذه السرايا على بعض المسافرين من القبائل وتحقق معهم وتعرف خطة الأعداء، وعلى ضوء هذه المعلومات يرتب القادة الأسلوب الذي سيتخذ في مباغتة العدو لإنزال الضربة القاضية به.

وكان العربي إذا أحس بغارة العدو أو رأى قوما يتقدمون لمفاجأة قومه سارع إلى إنذارهم وإبلاغهم بذلك حيث يتجرد من ثيابه ويشير بها دلالة على الخطر وقرب العدو وهو ما يعرف عندهم (بالنذير العريان). كما عرف العرب الخدعة في الحرب وأداروا معاركهم على أساس أن (الحرب خدعة) بحيث يشيعون أنهم يريدون جهة معينة أو قبيلة بعينها أو أنهم سيسلكون طريقا معينا يرسلون قوة صغيرة بقصد التعمية ثم تسير قواتهم بعد ذلك في الطريق المحدد لهم وذلك لكي يأخذوا أعدائهم على حين غرة. ومن اجل أن يقع العدو في خطأ المعلومات التي حصل عليها بواسطة جواسيسه وغالبا ما تكون الإغارة مفاجأة في وقت راحة العدو أو في الصباح وقد يسيرون ليلا حتى لا يراهم احد.

وكان العرب يعرفون الشعار المتفق عليه بإعلان الحرب وضرورة الاستعداد لها وذلك بإشعال النار والتي تجمع القبائل

المتناحرة فإذا رآها العربي عرف أن هذه النار نار حرب ويتولى قيادة الجيش عندهم ذو الخبرة والمراسي.

وللعرب آداب وقواعد في الحرب ويطلبون من المحاربين ضرورة التقيد بها فقد سئل أكثم بن صيفي. صف لنا العمل في الحرب فقال (اقلوا الخلاف على أمرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه، وأعلموا أن كثرة الصياح من الفشل فتثبتوا فإن احزم الفريقين الركين، ورب عجلة تعقب ريثا وأدرعوا الليل، فإنه أخفى للويل وتحفظوا من البيات.

الفصل الرابع

المخابرات والجاسوسية
في السيرة الشعبية

المخابرات والجاسوسية في السيرة الشعبية..!

تمثل السير الشعبية أحد الروافد الهامة لتراث الشعوب وقد حفلت السير الشعبية في الأدب العربي بالعديد من صور المخابرات والجاسوسية نجد ذلك في سير (أبو زيد الهلالي – ألف ليلة وليلة – على الزيبق – ذات الهمة – عنترة بن شداد – الزير سالم).

وسوف نأخذ سيرة الزير سالم كنموذج تطبيقي لعالم الجاسوسية والمخابرات في السير الشعبية وذلك لأن سيرة الزير سالم بشكل خاص تحوي أصداء تجارب الجاسوسية التي حدثت في العصرين الفرعوني والإغريقي.. ولأن أحداث السيرة قد جرت قبل بداية الإسلام بسنوات قليلة.. وكما يقول علماء السير الشعبية فإن السيرة أي سيرة (خليط) من التاريخ والتأليف أي أنها ليست تاريخا خالصا وليست أدبا خالصا بل أنها قد تخلط بعض (الأحداث التاريخية) ويظهر ذلك واضحا في سيرة الزير سالم فقد استدعى كاتب سيرة الزير سالم شخصية الملك حسان اليماني من عمق التاريخ العربي ليجعله بطلا مؤثرا وفعالا في سيرته التي تقع أحداثها قبل الإسلام بقليل وذلك ليعلو بالسيرة من مجرد تسجيل لمعارك قبليه ثأرية بين الأخوة وأبناء العم إلى معارك موجهة ضد ملك خارجي هو الملك حسان التبعي الحميري.

وتبدأ أحداث سيرة الزير سالم بغزو الملك حسان اليماني لقبيلتي تغلب وبكر وهزيمتهما واحتلال أرضهما ثم محاولته الزواج من (جليلة) جميلة القبيلتين بالإكراه وهي ابنة أخت ربيعة قائد القبيلتين وخطيبة كليب.. ولأن المهزوم لابد وأن يخضع دوما لكل شروط المنتصر فقد وافق كبار القبيلتين على زواج جليلة من الملك المنتصر. ولكن العابد نعمان يجد لهم الحل الذي يرفع رؤوسهم وينقذهم من قيد الذل وتتخلص حيلة العابد نعمان في دخول كليب مع العروس يوم زفافها في هيئة مهرج يلعب بسيفه الخشبي ويغني فيما يشبه احتفالات (دنيوسيس وباخوس) وكوميديات الإغريق واحتفالاتها الصاخبة المعروفة وإذا كان كليب قد أصبح مهرج العرس فإن جساس سوف يختبئ داخل شوار العروس (صندوق العرس) مثلما حدث في أجولة الدقيق عند الفراعنة وحصان طروادة عند الإغريق. وبعد انتهاء كل طقوس الزفاف وما أن يختلي الملك حسان بعروسه الجميلة جليلة حتى يخرج له جساس من شوار العروس ومعه كليب ليقتله كليب بسيفه.. وتروي السيرة أن الملك حسان كانت له أخت اسمها سعاد قد تنكرت في زي عرافة تحمل نبؤة قتل جساس لكليب وتبلغها له بل أن سعادة هي نفسها (البسوس) التي أشعلت نار الحرب والثأر من

خلال قصة الناقة المعروفة وذلك آخذا بثأرها من كليب الذي قتل أخاها.

ويقول الكاتب فاروق خورشيد في مقال بمجلة المصور ١/ ٦/ ٩٠ بعنوان الزير سالم وأصداء فرعونيه..

أننا لا نستطيع أن ننكر التأثير الإغريقي ولا التأثير الفرعوني أبدا فكلاهما من ناحية الوجود الزمني السابق وفعال ومؤثر ولا نستطيع أن ننكره لأنه مدون وموجود في داخل العمل الروائي الشعبي نفسه ففي الجزء الأول من السيرة وهو الخاص (بربيعه) و (حسان التبعي اليماني) يتمكن حسان من هزيمة ربيعه والاستيلاء على ملكه ثم يطب الجليلة بنت مرة بنت أخت ربيعة والتي هي خطيبة كليب وتخضع له القبيلة كلها فهو الملك المنتصر قاتل ربيعة المشنوق وسط المدينة والذي يطالب جسده بالثأر من قاتله فإذا بالجليلة بنت مرة تلجأ مع كليب بن ربيعه خطيبها وحبيبها إلى حيلة لهزيمة حسان التبعي والحيلة ببساطة تشابه تماما حيلة حصان طروداة الإغريقي القديم مجموعة من الفرسان يدخلون وسط شوار العروس (صندوق العروس) في صناديق مزدوجه في جزئها الأعلى الأثاث والشوار والحلى وفي جزئها الأسفل فرسان مسلحون جاهزون للقفز على قصر (التبع) حين إشارة من كليب وهي نفس قصة حصان طروادة

الإغريقي المشهورة وقبلها جاءت في قصة على بابا والأربعين حرامي حيث تلعب (الزلع) لعبة الصناديق في الزير سالم ولعبة الحصان في حصان طروادة ليخرج الفرسان المسلحون حين للاستيلاء على المعقل المنيع وقتل الحرس وسيادة المدينة أو القصر أو البيت في علي بابا.

الفصل الخامس

الجاسوسية والمخابرات
في التوراة وعند اليهود

الجاسوسية والمخابرات في التوراة وعند اليهود..!

تحفل التوراة التي يتداولها اليهود الآن بالعديد من قصص المخابرات والجاسوسية وسوف ننتقى بعض القصص كنماذج لتلك الحكايات الكثيرة عن التخابر والتجسس.

في معركة مدين عام ١٢٤٥ ق. م يروي الإصحاح السابع من سفر (القضاء) أن جدعون كان في موقف تكتيكي سيء إذ كان أهل مدين أكثر عددا منه وكانوا على وشك القضاء على قواته ولم تكن أساليب القتال العادية بقادرة على أن تحل المشكلة ومن ثم فإن جدعون مستندا إلى الهام أعظم من أن يكون لدى قادة عصره تخير ثلاثمائة رجل لتنفيذ عملية خداع يمكن أن تثير الاضطراب في صفوف العدو حيث كان جدعون يعلم جيدا من تكتيكات عصره أن لكل مائة جندي حامل مشعل يضيء لهم الطريق بمشعله فقام بتزويد الثلاثمائة رجل بالمشاعل والأبواق ليوهم العدو بوجود ثلاثين الف رجل ولما كانت هذه المشاعل لا يمكن أن تضاء آليا مثل المصابيح الكهربية الحديثة فقد أخفى هؤلاء الجنود أنفسهم لكي يحققوا تأثير المفاجأة ووضعوا المصابيح مختفية داخل حواملها. وصف جدعون جنوده خفية حول معسكر العدو ليلا ثم أطلق إشارة واحدة فأخرج الرجال كلهم المصابيح في وقت واحد وبرزت الأنوار مبعثرة حول

المعسكر وراح الجنود ينفخون في الأبواق بقوة كمن فقدوا عقولهم وهب أهل مدين من نومهم مفزوعين وعم الاضطراب صفوفهم وقاتلوا بعضهم بعضا داخل معسكرهم وأسرعوا بالفرار وفي أعقابهم الإسرائيليون يطاردونهم.

جاء في الإصحاح الثالث من سفر (العدد) في التوراة (ثم كلم الرب موسى قائلا رسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل وأبعث من كل قبيلة رجلا يكون حاكما في موقعه. فبعث موسى أثنى عشر رجلا يتجسسون أرض كنعان ورسم لهم الخطة وقال لهم أصعدوا من هنا إلى الجنوب وأطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هي؟ والشعب الساكن فيها أجيدة أم رديئة؟ وما هي المدن التي هو ساكن فيها؟ أمخيمات أم حصون؟ وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيلة أفيها شجر أم لا؟ فصعدوا وتجسسوا وقد تضمنت طليعة هؤلاء الجواسيس أربعين يوما ثم أتوا موسى وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقا أنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها غير أن الشعب الساكن فيها معتز بنفسه والمدن حصينة وعظيمة جدا..

أول امرأة جاسوسة..

جاء في الإصحاح الثاني من سفر (يشوع) من التوراة قصة أول امرأة جاسوسة وهي امرأة ساقطة عاونت جاسوسين إسرائيليين في مهمتهما وتروي التوراة القصة فتقول (فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا قائلا انظروا الأرض وأريحا فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها (راحاب) واضطجعا هناك فقيل لملك اريحا هو ذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض كلها: فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت نعم جاء إلى الرجلان ولست أعلم أين ذهب الرجلين أسعوا سريعا وراءهما حتى تدركوهما.. أما هي فأطلقتهما على السطح ووراؤتهما بين عيدان كتان لها منضدة على السطح فسعى القوم وراءهما في طريق الأردن وحالما خرج الذين سعوا وراءهما أغلقوا الباب ثم صعدت إليهما المرأة على السطح واستحلفتهما أن يعملا معها معروفا كما صنعت فيهما أن يبقوا على أبيها وأمها وأخوتها حين يفتحون البلاد ويستولون عليها ثم أنزلتهما بحبل من على السطح. وما إن استقر على الأرض حتى تحللا من اليمين التي حلفاها وقالا لها اجمعي أهلك كلهم في بيتك وعلميه بالحبل الذي أنزلنا به فمن بقى منهم داخله فهو في حمايتنا ومن يبقى خارجه يظل دمه هدرا على ألا تفش سرنا وعادا إلى يشوع بما يحملان من معلومات.

الفصل السادس

الحرب في التوراة
والإنجيل والقرآن..!!

الحرب في التوراة والإنجيل والقرآن..!!

الحرب كلمة صغيرة من خمسة حروف فقط لكنها كلمة كريهة بغيضة عند كل إنسان صاحب فطرة سليمة وذلك لأن الحرب تعني القتل والتشويه والفراق والبغضاء.. ورغم كل هذا فقد تصبح الحرب عنوانا للعزة والكرامة عندما تكون دفاعا عن الحق والكرامة ودفاعا عن كلمة ا لتصبح هي العليا.

ومن هنا فقد أباحت كل الشرائع السماوية (الحرب) في حدود الاضطرار إليها كحل أخير وفي نفس الوقت فقد نهت كل الشرائع عن (العدوان) بكل صوره وأشكاله.. ولعل أمير الشعراء أحمد شوقي قد لخص كل ذلك في شطر بيت من قصيدته الجميلة (ولد الهدى) حيث يخاطب رسول ا ﷺ قائلا (الحرب في حق لديك شريعة).

ولا شك في أن الحروب هي أصلح البيئات لازدهار عمليات الجاسوسية والمخابرات. فكل طرف من المتحاربين يسعى لكشف خطط الخصم ولإخفاء خططه الخاصة حتى يحسم المعركة لصالحه وكل ذلك لا يتم إلا من خلال أعمال المخابرات والجاسوسية. ولأن الحرب شيء بغيض إلا إذا اكرهنا عليه فقد كان لزاما علينا أن نتعرف على (نظرة) الكتب السماوية (التوراة – الإنجيل – القرآن) للحرب وسوف نأخذ فيما يلي بعض النصوص كنماذج

تطبيقية لنظرة كل من اليهودية والمسيحية والإسلام إلى الحرب.. ولكن يجب أن نلفت الأنظار إلى أن التوراة والأناجيل التي يتم تداولها الآن قد تعرضت لعمليات (تحريف وتشويه) كبيرة وخاصة التوراة.. فإذا قرأنا هذه (النصوص) فيجب أن نتعامل معها من خلال هذا (التحفظ).

اليهودية.. وقتل الأسرى الأبرياء..!!

قبل أن نعرض لأحد نصوص التوراة عن نظرتها للحرب نذكر أن اليهود قد تركوا مدينتهم (أورشليم) تسقط في أيدي الغزاة السلوقيين لأن الغزاة قد اختاروا (يوم السبت) لمهاجمتها فقد أثر اليهود سقوطها على أن يقاتلوا يوم السبت حيث تمجد البطالة وتقدس الراحة وهذا يشير إلى مدى ما كان للخرافة في أفئدتهم وفي عقولهم من رسوخ وولاء أنهم يوم السبت لا يركزون ولا يعالجون ولا يعملون عملاً.. حتى جاء السيد المسيح عليه السلام ليهدم هذه الخرافات على رؤسهم فقال (إنما خلق السبت من اجل الإنسان.. ولم يجعل الإنسان من اجل السبت).

إله اليهود.. وسفك الدماء

في الإصحاح العشرين من سفر التثنيه من التوراة جاء ما نصه (حين تقترب من مدينة كي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك

إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير ويستعبد، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتمنحها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تبقى منها نسمه بل تحرمها تحريما، الحيثيين والأراميين والكنعانيين والفيرزيين والحواريين واليوسيين كما أمرك الرب إلهك.

وهكذا وبنص التوراة المحرفة والمشوهة نجد السر وراء تلك العملية القذرة التي ارتكبها اليهود ضد الأسرى العرب العزل في حربي ٥٦ – ١٩٦٧ حيث قتلوا هؤلاء الأسرى العزل رغم تحريم كل الشرائع السماوية وكل القوانين العالمية لهذه الفعلة القذرة إلا أن اليهود بعد أن شوهوا وحرفوا التوراة. يجدون فيها ما يبرر موقفهم ويجعل ما فعلوه – من باب التدين والالتزام بالشريعة اليهودية.. فهم ينفذون أمر (إله اليهود) الذي أمرهم بضرب جميع الذكور بحد السيف في أي مدينة تستسلم لهم فهنيئا لليهود بإلههم الذي يهوى سفك

الدماء وعار علينا إن لم نأخذ ثأرنا بأيدينا فقد أمرنا ربنا العادل بقوله (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب).

المسيحية.. شريعة الحب والخلاص

جاء السيد المسيح إلى الدنيا وفلسطين إحدى مستعمرات الإمبراطورية الرومانية ويسكنها مليونان ونصف المليون من الناس، يعيش الوثنيون منهم في مدنها الساحلية. ويتركز اليهود في المدن الداخلية. ويعاني شعبها سيما اليهود نزاعا عنصريا واضطرابا سياسيا. وقد شهد السيد المسيح إبان شبابه أي قبل جهرة بدعوته حملة (قارس) حاكم سوريا الروماني التأديبية على بعض مدن فلسطين فهدم مئات البلدان وصلب ألفين من سكانها وباع ثلاثين الفا في أسواق الرقيق. ومن هنا توهجت آمال كثيرين في مجيء (مسيح) مخلص ملك يؤسس مملكة مستقلة، تدفع ضغط روما وتسلطها.

ولكن المسيح جاء بشريعة عمادها الحب والخلاص فرغم أن دعوته لم تستمر إلا ثلاث سنوات فقط إلا انه قاد (ثورة) عظيمة لهدم كل الخرافات اليهودية أي انه جاء ليغير (سلوكيات) الناس ولم يأت ليخوض حروبا بالسيف أو ليصنع ملكا من خلال الحروب لذلك نجده يقول في بداية دعوته (إن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس

الناس بل ليخلص) ثم يقول (روح الرب مسحني لأبشر المساكين – لأنادي للمأسورين بالانطلاق).

وتتضح دعوة المسيح عندما يصرخ في وجوه كهنة اليهود قائلا.. (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون) (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلة تطيلون صلواتكم، لذلك تأخذون دينونه أعظم).

وينادي المسيح في إتباعه بتماسك الأمة وعدم انقسامها على ذاتها فيقول (كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب وبيت منقسم على نفسه يسقط) ويضيف المسيح (ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله، وأهلك نفسه أو خسرها).

ويسأله تلميذه بطرس (كم مرة يخطئ إليّ أخي وأغفر له؟ هل إلى سبع مرات)

ويجيب المسيح

(لا أقول لك إلا سبع مرات بل إلى سبعين مرة)

ويصرخ المسيح مرة أخرى في وجه كهنة اليهود قائلا

(يا أولاد الأفاعي.. لا تقولوا لنا إبراهيم أبانا.. لأني أقول لكم.. إن ا قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم).

ورغم كل السماحة والحب في دعوة المسيح سمعنا من يقول (لابد من الحرب دفاعا عن الحضارة المسيحية).

ونعتقد أن كل مسيحي يرفع راية الحرب والعدوان لم يقرأ وصية المسيح العظيمة التي تقول (واية مدينه دخلتموها، ولم يقبلوكم فأخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم تنفضه عنا).

ويقول المسيح (إذا سمعتم بحروب وقلاقل، فلا تجزعوا لأنه لابد أن يكون هذا أولا.. ولكن لا يكون المنتهى سريعا).

ويقول المسيح (أريد رحمة.. لا ذبيحة).

ويقول المسيح لمن أراد أن يدافع عنه بسيفه، حين هاجمه أعداؤه ليلا، ليأخذوه إلى رؤساء الكهنة، كي يحاكموه.

(رد سيفك إلى مكانه – أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من أثنى عشر جيشا من الملائكة).

الإسلام.. رد العدوان وحرية الدين

القرآن هو الدستور الإلهي لدين الإسلام وقد تناول القرآن في كثير من آياته القتال من جميع نواحيه. وعرض لما يجب على المسلمين من الاستعداد له والاحتياط ووضح قواعده وأحكامه ففي سورة النساء يقول ا تعالى (فليقاتل في سبيل ا الذين يشرون الحياة الدنيا

بالآخرة ومن يقاتل في سبيل ا فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما. وما لكم لا تقاتلون في سبيل ا والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك وليا وأجعل لنا من لدنك نصيرا) الآيتان ٧٤، ٧٥.

فالقرآن يؤيد القتال دفاعا عن النفس ودفاعا عن العقيدة ولكنه مع هذا ينكر حرب الاعتداء حيث يقول ا تعالى في سورة التوبة (وقاتلوا في سبيل ا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا أن ا لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجركم والفتنة أشد من القتل) الآية ٢٤.

لقد كانت الغاية الأولى التي شرع القتال من أجلها في الإسلام هي حماية المسلمين من أن يفتنوا عن دينهم لدرجة أن ا قد أباح القتال في الأشهر الحرام حتى لا يفتن المسلمون ويقول ا تعالى في سورة النساء (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل ا وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه اكبر عند ا والفتنة أشد من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية ٢١٧.

فحق طبيعي بل واجب إلزامي لكل من يرى غيره يحاول فتنته عن دينه أو صده عن سبيل ا أن يقاتل في سبيل ا حتى لا يفتن وحتى ينصر ا دينه.

لقد حاول خصوم الإسلام أن يثيروا بعض الاتهامات الباطلة عن الحرب في الإسلام على اعتبار أن هذا الدين قد انتشر بالحرب والسيف رغم أن القرآن يدحض هذه التهم في كثير من آياته حيث يقول تعالى **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة ٢٥٦.

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) الكهف ٥٩.

(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام ا ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) التوبة ٦

وتقرر هذه الآيات مدى بطلان هذه الاتهامات بل وتؤكد حرية العقيدة في الإسلام وتلزم المؤمنين إن استجار بهم احد المشركين أن يبلغوه الدعوة وأن يوضحوا له مقاصد الإسلام ثم يحرسوه حتى يصل إلى مأمنه ويتركوه ليسلم عن رغبة واقتناع لا عن خوف أو رهبه أو

إكراه.. وعلاوة على ذلك فهناك العديد من الأدلة والأسانيد التي تؤكد على أن هذا الاتهام مجرد بهتان وزور وفيما يلي بعض هذه الأدلة.

١ – **شهادة التاريخ:** التي تؤكد على أن النبي قد مكث في مكة ثلاث عشر سنة يدعو إلى دينه وكان مضطهدا واحتمل وصبر وكان يمر على أصحابه وهم يعذبون فلا يزيد عن أن يقول لهم **(اصبروا آل ياسر إن موعدكم الجنة)** ومع هذا آمن بالإسلام السابقون الأولون وكذلك الأنصار من أهل المدينة حينما حدثهم الرسول بشأن دعوته خلال ترددهم على مكة في كل عام – وثابت من التاريخ أن الأمر بالقتال والإذن به لم يصدر إلا في السنة الثانية من الهجرة.

٢ – **شهادة الإسلام:** التي تؤكد على أن أساس التصديق بالإسلام العقل والفكر والنظر والاطمئنان القلبي والحرية كما جاء في سورة الحجرات **(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولم يدخل الإيمان في قلوبكم)** الآية ١٤.. وهذه الأسس لا يمكن أن تتجاوب مع الإكراه والخوف والاستجابة لدعوة: كرسها السيف وقال تعالى أيضا **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** النمل ١٢٥

ثم بماذا تفسر هذه الرسائل التي وجهها الرسول الكريم إلى الملوك في عهده يطلب منهم فيها دخول الإسلام؟

فبعث الرسول في كتاب إلى كسرى ملك الفرس **(إني رسول ا إلى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. إسلم تسلم فإن ابيت فإنما عليك إثم المجوس).**

وكذلك كتاب الرسول إلى النجاشي ملك الحبشة **(إني أدعوك إلى ا وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول ا).**

إذن رسالة الإسلام لا تهدف كما هو واضح من القرآن إلى الحرب من اجل نشر تعاليمه ومبادئه، كما أن الإسلام لم يكن في حاجة إلى كسب الأنصار بالقوة والعنف، وإنما أعداؤه هم الذين أرادوا أن يفتنوا المسلمين عن دينهم **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** البقرة ٢٧

ويتضح لنا من القرآن وهو دستور الإسلام العظيم عدة نقاط هامة:

١ – انه لا توجد في القرآن آية تدل أو تشير إلى أن القتال شرع لحمل الناس على اعتناق الإسلام.

٢ – أن سبب القتال هو رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين.

٣ – انه حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع وابتغاه طريقا إلى السلم والاطمئنان.

٤ – أن الإسلام فرض الجزية على من يبقى على دينه وما الجزية أصلا إلا دليل على الخضوع وكف الأذى والمشاركة في تحمل أعباء الدولة.

أغراض الحرب في الإسلام

حدد الإسلام الأغراض الأساسية للحرب في عدة نقاط هي:

١ – رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين فقد روى أبو داود والترمذي عن سعد رضي ا عنه قال سمعت رسول ا يقول (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد).

واشترط الإسلام أن يكون الدفاع ورد العدوان بمثل ما حصل من الاعتداء به **(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا ا واعلموا أن ا مع المتقين)** البقرة ١٩٤

٢ – تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاولون الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)** البقرة ١٩٣

٣ – حماية الدعوة حتى تبلغ الناس ويتحدد موقفهم منها فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي ا عنه قال.. قال رسول ا

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على ا .

٤ – تأديب ناكثي العهد من المعاهدين **(وإن نكثوا أيمانهم بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة)** التوبة ١٢

٥ – إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين **(والذين أمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وا بما تعلمون بصير)** الانفال ٧٢

٦ – الكف عن القتال إذا كف عنه الأعداء **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين)** البقرة ١٩٣

٧ – قصر الحرب على الجيش المحارب فلا يجوز التعرض للنساء أو الأطفال أو الشيوخ والرهبان.. فقد روى أبو داود أن الرسول قال (لا تقتلوا شيخا فانيا ولا صغيرا ولا إمرأة).

٨ – تحريم التمثيل بالقتلى والإحراق بالنار.. فقد روى أبو هريرة أن النبي قال (إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا أو فلانا وإن النار لا يعذب بها إلا ا فإن وجدتموهما فأقتلوهما).

٩ – تحريم إتلاف الأموال.. فقد روى ابن عمر أن النبي حرق نخيل بني النضير أثناء حصاره لهم حتى يستسلموا فقالوا له إنك تنهي عن الفساد في الأرض فما بال قطع الأشجار وتحريقها؟ فكف الرسول عن التخريب في بلاد العدو.

١٠ – تحريم تجويع الأعداء بمنع المؤنة عنهم.. فقد روى أن ثمامه بن آثال منع الميرة عن قريش حتى أكلوا الجلود والجيف وشكا أبو سفيان إلى النبي فأمر الرسول ثمامه أن يرسل الميرة لهم.

١١ – الإحسان إلى الأسير وقد مدح ا من يطعم الأسير في قوله **(ويطعمون الطعام على حبه مسكمينا ويتيما وأسيرا)** الإنسان ٨ فأين هذا من قذارات اليهود التي تبيح لهم قتل الأسرى..!!

١٢ – تأكيد الرحمة في الحرب ومراعاة الناحية الإنسانية فيقول تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) محمد ٤

١٣ – ضرورة إعلان الحرب من جهة المسلمين قبل البدء في أي قتال رغبة في ألا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة من جانب المسلمين **(إن ا لا يحب الخائيبن)** الانفال ٥٩

١٤ – الوفاء بالمعاهدات والعهود في الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيهما **(وأوفوا بعهد ا إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها)** النحل ٩١

عوامل القتال في الإسلام

تناولت آيات القرآن ثلاثة عوامل هامة للقتال وهي:

١ – الروح المعنوية وتقويتها

٢ – إعداد العدة وتحقيق أقصى قوة مادية

٣ – التنظيم العملي للحرب

والمقصود بالقوة المادية هو العدد والعدة، فأما العدد فقد كان يتوقف على عدد المسلمين فكل من دخل في الإسلام أصبح جنديا من جنوده وينص القرآن على ضرورة توافر العدد الكثير والعدة الوافرة.

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو ا وعدوكم) الأنفال ٦٠

أما إعداد العدة فقد جاء في القرآن الكريم **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)** الحديد ٢٤

ولما كان الإعداد للحرب يتطلب مالا كثيرا فقد حثت آيات كثيرة على البذل في سبيل ا ومن ذلك **(وما تنفقوا من شيء في سبيل ا يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** الأنفال ٦٠

(وانفقوا في سبيل ا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة ١٩٥

وأما من ناحية التنظيم الفعلي للحرب فقد أمر ا تعالى المسلمين جميعا لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم برد العدوان إبقاء على وحدة المسلمين ولكن القرآن أعفى من القتال الضعفاء والمرض والذين لا يجدون ما ينفقون أي انه أعفى الضعفاء بسبب العجز أو الشيخوخة والمرض وعدم القدرة على الإنفاق وهذا ما أكده قول ا تعالى في سورة التوبة **(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا ورسوله ما على المحسنين من سبيل وا غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة ٩١ – ٩٢.

الفصل السابع

عقوبة التجسس
في الإسلام

عقوبة التجسس في الإسلام

اختلف أئمة الإسلام وفقهاؤه حول (عقوبة الجاسوس) كيف تكون.. وبالطبع فإن هذا الجاسوس هو الذي يتجسس على المسلمين وليس الذي يتجسس لهم.. فقد اختلف الأئمة حول عقوبة الجاسوس المسلم وإن كانوا قد اتفقوا على عقوبة الجاسوس غير المسلم. وحتى نعرض لأهم الاجتهادات في هذه القضية الشائكة فسوف نرجع إلى حادثة وقعت أيام الرسول ﷺ ومن تلك الحادثة نخرج كل اجتهادات وتأويلات الأئمة والفقهاء.

ففي الحديث عن علي بن أبي طالب قال بعثني رسول ا أنا والزبير والمقداد بن الأسود وقال عليه السلام: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظغينة (إمرأة مسافرة) ومعها كتاب فخذوه منها. فانطلقنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظغينة (المرأة المسافرة) فقلنا أخرجي الكتاب فقالت كم ما معي من كتاب فقلنا لتخرجي في الكتاب.. من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمور رسول ا فقال الرسول ما هذا؟

قال حاطب يا رسول ا لا تعجل على أني كنت ملصقا (تبعا) في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم

قرابات في مكة يحمون بهم أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا أو لا رضا بالكفر بعد الإسلام.. فقال رسول ا : لقد صدقكم. وقال عمر بن الخطاب وقد كان حاضرا المجلس.. يا رسول ا دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال الرسول انه شهد بدرا..؟ وما يدريك لعل ا أن يكون قد أطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، رواه البخاري ومسلم واحمد وقد أشار ابن القيم في الجزء الثاني من كتابه (زاد المعاد) (ص ١٧٧) إلى هذا الحديث وقال.. واستدل بالحديث من لا يرى قتل الجاسوس المسلم كالشافعي واحمد وغيرهما وقالوا لأنه علل بعلة مانعة من القتل وهي منتفية في غيرة ولو كمان الإسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير وهذا أقوى.

ص٦٢

* وقد نقل الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) هذا الحديث وقال ظاهر هذا أن العلة في ترك قتله (كونه ممن شهدوا بدرا) ولولا ذلك لكان مستحقا للقتل ففيه متمسك لمن قال انه يقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين.

* وقد اتفق المفسرون على أن هذه الحادثة كانت سببا في نزول قوله تعالى في أول سورة الممتحنة (يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أوليا تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا با ربكم إن كنتم خرجتم جهدا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا ألم بما اخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل).

*** وقد اختلاف الفقهاء في قتل الجاسوس المسلم:**

فالإمام مالك يرى تعزيز الجاسوس المسلم بالقتل ووافقه بعض أصحاب أحمد بن حنبل. وقد ذكر بعض أصحاب الشافعي ذلك أيضا. أما الإمام أبي حنيفة فهو أبعد الأئمة عن التعزيز بالقتل ومع ذلك فيجوز التعذير به للمصلحة كقتل القاتل بالمثل.

- وفي كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة (ص ٢٦٦) قال: وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة أو من أهل الحرب أو من المسلمين إن كانوا من أهل الحرب أو من أهل الذمة ممن يؤدون الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فأضرب أعناقهم وإن كانوا من أهل الإسلام معروفين

فأوجعهم عقوبه وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة (أي يتوبوا).

- وينحصر الخلاف بين الفقهاء حول قتل المسلم إذا ارتكب جريمة التجسس فالبعض يجيز قتل الجاسوس المسلم منعا لشره وكفا لأذاه عن المسلمين وتطهيرا للمجتمع منه ولا يجوز أن يكون محل خلاف من احد وقد أجاز الحنفية قتل المبتدع الذي يوهم انتشار بدعته وإن لم يحكم بكفره بناء على أن المصلحة تقتضي هذا القتل.

وأجاز بعض أصحاب الشافعي واحمد قتل الداعي إلى البدعة والتهجم والحجة في ذلك كله منع الشر والفساد وتطهير المجتمع من عناصر الهدم والتخريب وذلك انطلاقا من قوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون ا ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

*** وقد اختلف الفقهاء والمفسرون في هذه الآية حول موضوعين:**

الأول: في معنى المحاربة ورسوله وهل هي المجاهرة بقطع الطريق أم المكابرة باللصوصية وغيرها أم هي المجاهرة بما ذكره أو

هي قطع الطريق وإخافة الناس وإظهار الفساد في الأرض وإن لم يحدث قتل أو سلب.

الثاني: في العقوبات الواردة في هذه الآية وهي القتل والصلب والقطع والنفي وهل هي على سبيل التخير يفوض الأمر في إيقاعها إلى رأي الإمام واجتهاده يوقع في كل حالة ما يناسبها أم هي على سبيل الترتيب والتوزيع. القتل جزاء القتل والقطع جزاء اخذ المال والقتل والصلب جزاء الجريمتين معا وهكذا.

- ونعود إلى جريمة التجسس فقد سئل عدد من العلماء المحدثين عن عقوبة المسلم الذي يركب جريمة التجسس فقال شيخ الجامع الأزهر د. سيد طنطاوي إن الجاسوس الذي تثبت ضده تهمة التجسس والتخابر يستحق القتل شرعا.
- أما مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد فقد قال التجسس هو الإطلاع على عورات المسلمين وإيصال أخبارهم للعدو. ويرى الإمام مالك وابن عقيل من أصحاب الإمام احمد ابن حنبل أن الجاسوس المسلم يقتل اجتهادا إذا عظم ضرره ويحتجون بأن رسول ا قد أقر عمر على إرادة قتل حاطب بن أبي بلتعه لإيصاله أخبار المسلمين إلى العدو ولولا المانع الذي بينه الرسول وهو كون حاطب قد شهد بدرا، وهذا متعذر

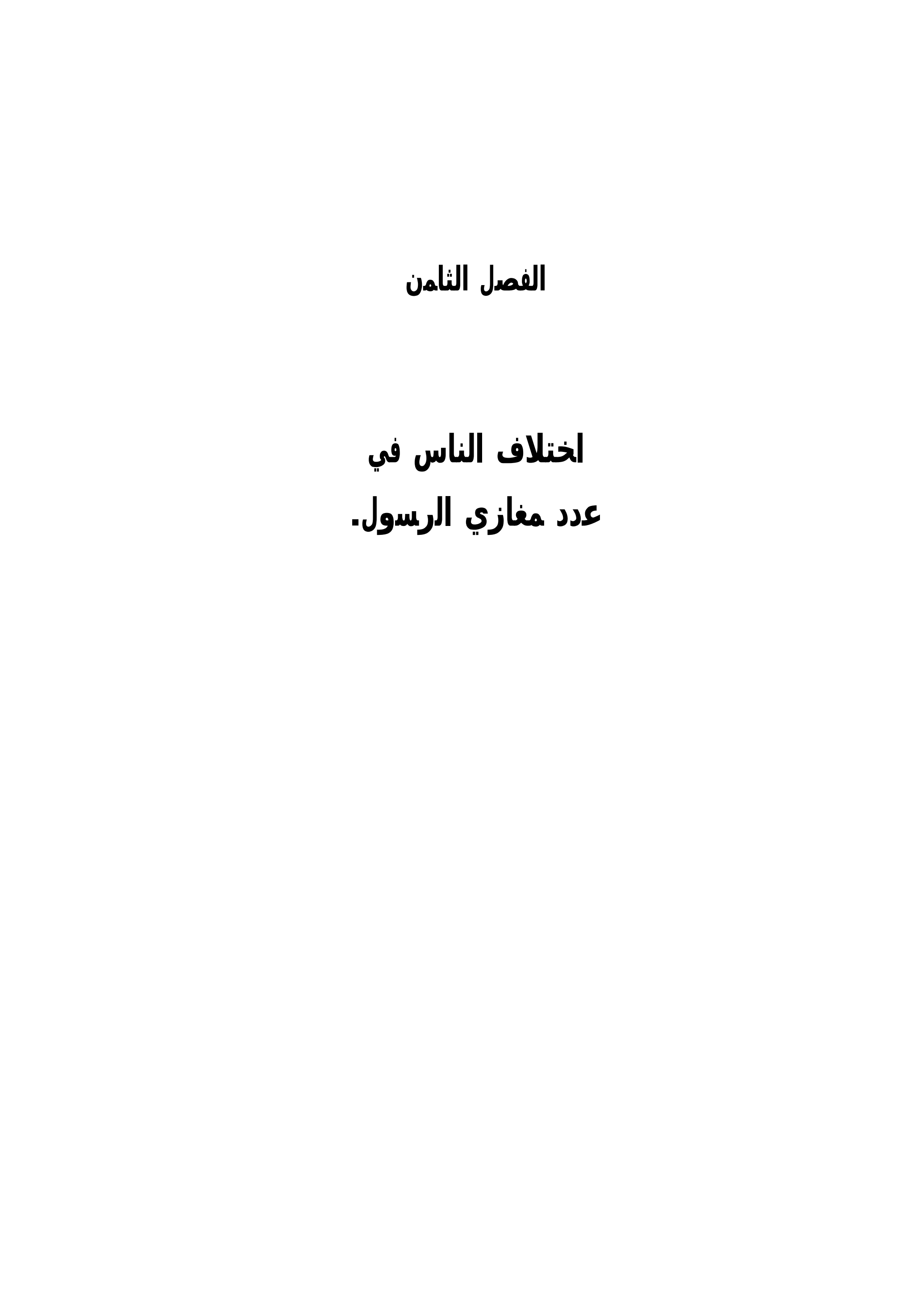
في غيره فلو كان الإسلام مانعا من القتل لما علل بأخص منه.

وانفرد من المالكية ابن القاسم بالقول أن الجاسوس المسلم يقتل حدا لأن التجسس رده والجاسوس مرتد لقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم).

* وإلى قتل الجاسوس " ذهب ابن القيم من متأخري الحنابلة دون التعرض لإيمانه أو عدمه.

- أما الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعي واحمد فقد ذهبوا إلى أن التجسس لا يزيل أصل الإيمان. لذا فهم يقولون بتعزير الجاسوس على أن لا تبلغ العقوبة حد القتل.

* وقد لخص ابن حجر الهيثمي أراء الفقهاء المسلمين في التجسس فقال إن ترتيب من الدلالة على عورات المسلمين وهن للإسلام أو لأهله أو قتل أو سلب أو نهب كان ذلك من أعظم الكبائر وأقبحها لأنه سعى في الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فمأواه جهنم وبئس المهاد مما يتعين قتل فاعل ذلك.. هذا وا أعلم وأحكم.



الفصل الثامن

اختلاف الناس في
عدد مغازي الرسول.

اختلاف الناس في عدد مغازى الرسول..

روي ابن سعد عن ابن إسحاق وابن عقبة وأبي معشر وعن شيخه محمد بن عمر الأسلمي عن جماعة سماهم قالوا: كان عدد مغازى رسول ا التي غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين وقيل تسع وعشرون وقيل ست وعشرون ومن قال بذلك جعل غزوة خيبر ووادي القرى غزوة واحدة وقيل خمس وعشرون وزعم الحافظ عبد الغني المقدس انه المشهور وعزاه لابن إسحاق وإن عقبه وأبي معشر والذي رواه عنهم ابن سعد ما سبق، وهو الصحيح الذي جزم به أبو الفرج في (التلقيح) والدمياطي والعراقي وغيرهم.

وقال في المورد وهو الذي نقله المؤلف، أي الحافظ عبد الغني عن هؤلاء الأئمة الثلاثة لم يقع لي من نقله عنهم غير المؤلف وسرد أسماء الغزوات وهي غزوة الأبواء ويقال لها ودان ثم غزوة بواط ثم غزوة سفوان وهي بدر الأولى لطلب كرز بن جابر ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم بالكدر ويقال لها قرقرة الكدر ثم غزوة السويعه ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة حمراء الأسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة بدر الأخيرة وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق وهي المريسع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم

غزوة الحديبية ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة خيبر ثم غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك.

وقال ابن عقبة لقد قاتل الرسول في ثمان مواطن وأهمل عد قريظة لأنه ضمها إلى الخندق لكونها كانت في إثرها.. وقد أفردها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب وكذا وقع لغيرة عد الطائف وحنينا واحدة لكونها كانت في اثرها.

- ومن نسخة صحيحة في مغازي ابن عقبة قال.

غزا رسول ا اثنتى عشرة غزوة لم يكن فيها قتال.

- والغزوات الكبار الأمهات سبع بدر – احد – الخندق – خيبر – الفتح – حنين – تبوك. وفي شأن هذه الغزوات نزلت آيات كثيرة من القرآن ففي بدر كثير من (سورة الأنفال) وفي احد آخر (آل عمران) وفي قصة الخندق وقريظة صدر (صورة الأحزاب) وفي بني النضير (سورة الحشر) وفي قصة الحديبية وخيبر (سورة الفتح) وأشير فيها إلى الفتح وذكر الفتح في (سورة النصر) وتبوك في (سورة براءة).

- وفي كتاب المغازي للواقدي ذكر ترتيب السرايا لحمزة ثم عبيده ثم سعد بن أبي وقاصي ثم الابواء. بينما جاء الترتيب في كتاب

المغازي للذهبي القرده ثم بعث حمزة ثم بعث عبيده ثم القردة الثانية (بواط) ولم يذكر سرية أو بعث سعد بن أبي وقاص.

وقد حسم المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي والمتوفى سنة ٧٤٨ هـ في كتابه تاريخ الإسلام (المغازى) والذي حققة الدكتور عمر عبد السلام تدمري.. حسم الخلاف حول عدد مغازي الرسول حيث قام بحصر عدو الغزوات التي حدثت في كل سنة هجرية بداية من السنة الثانية وحتى وفاة الرسول ﷺ وجاء تقسيم الذهبي كما يلي

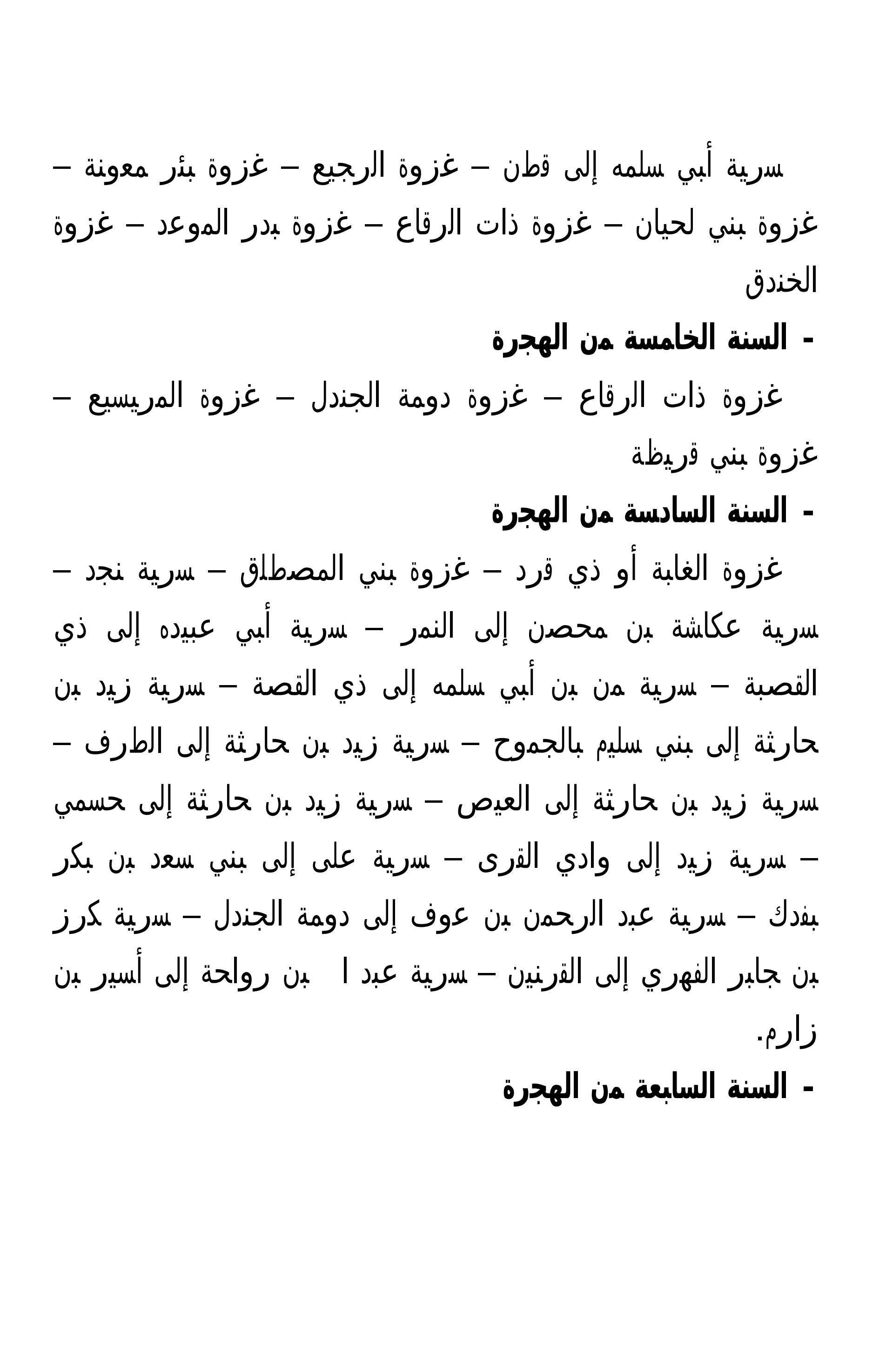
- السنة الثانية من الهجرة

غزوة الأبواء (ودان) – غزوة بواط – غزوة العشيرة – غزوة بدر الأولى (سفوان) – سرية سعد بن أبي وقاص – غزوة بدر الكبرى – سرية عمر بن عدي الخطمى – غزوة بني سليم – سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك – غزوة السويق في ذي الحجة.

- السنة الثالثة من الهجرة:

غزوة ذي أمر – غزوة بحران – غزوة بني قينقاع – غزوة بني النضير – سرية زيد بن حارثة إلى القردة – غزوة قرقرة الكدر – غزوة احد – غزوة حمراء الأسد.

- السنة الربعة من الهجرة:



سرية أبي سلمه إلى قطن – غزوة الرجيع – غزوة بئر معونة – غزوة بني لحيان – غزوة ذات الرقاع – غزوة بدر الموعد – غزوة الخندق

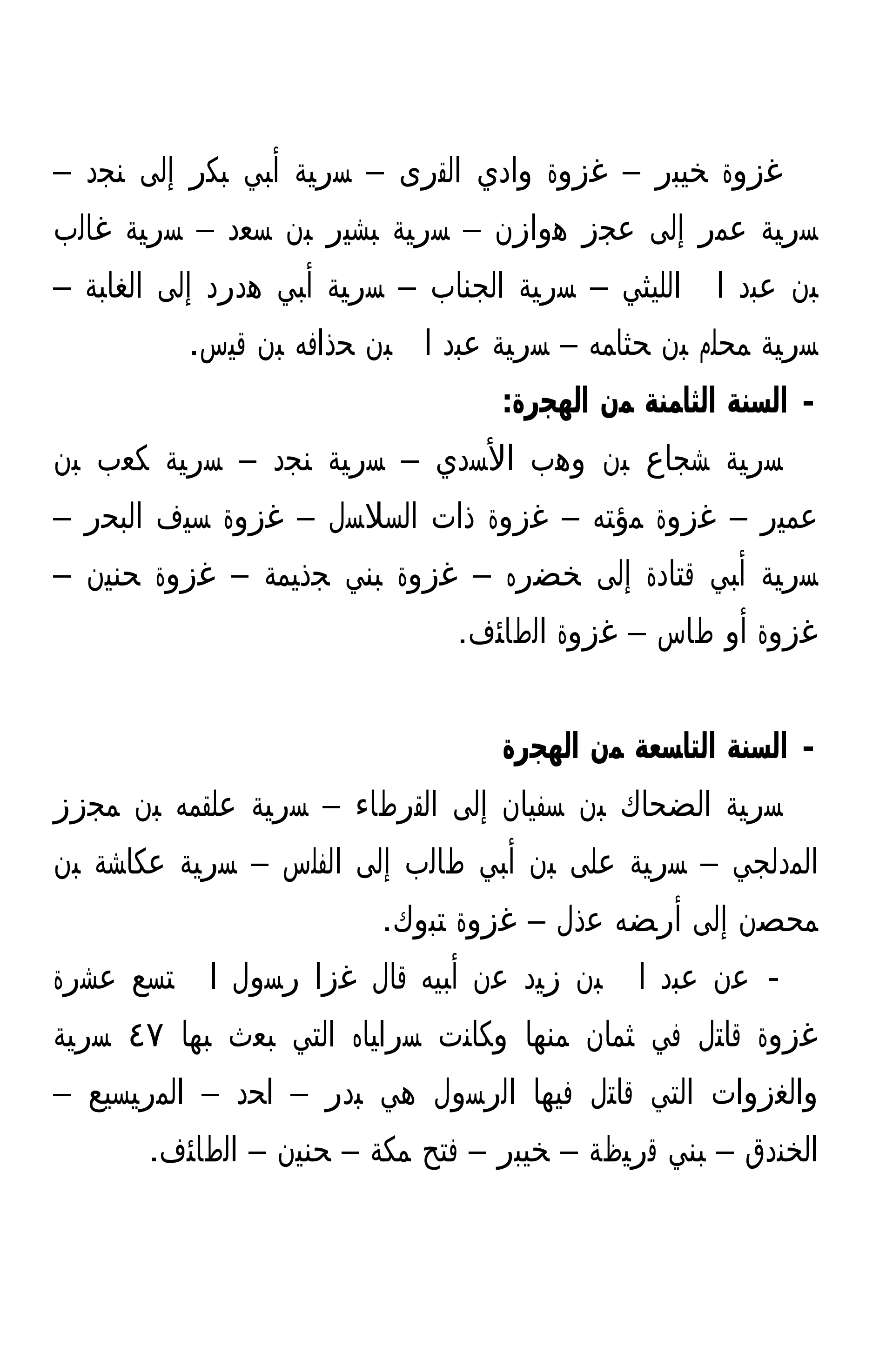
- السنة الخامسة من الهجرة

غزوة ذات الرقاع – غزوة دومة الجندل – غزوة المريسيع – غزوة بني قريظة

- السنة السادسة من الهجرة

غزوة الغابة أو ذي قرد – غزوة بني المصطلق – سرية نجد – سرية عكاشة بن محصن إلى النمر – سرية أبي عبيده إلى ذي القصبة – سرية من بن أبي سلمه إلى ذي القصة – سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموح – سرية زيد بن حارثة إلى الطرف – سرية زيد بن حارثة إلى العيص – سرية زيد بن حارثة إلى حسمي – سرية زيد إلى وادي القرى – سرية على إلى بني سعد بن بكر بفدك – سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل – سرية كرز بن جابر الفهري إلى القرنين – سرية عبد ا بن رواحة إلى أسير بن زارم.

- السنة السابعة من الهجرة



غزوة خيبر – غزوة وادي القرى – سرية أبي بكر إلى نجد – سرية عمر إلى عجز هوازن – سرية بشير بن سعد – سرية غالب بن عبد ا الليثي – سرية الجناب – سرية أبي هدرد إلى الغابة – سرية محلم بن حثامه – سرية عبد ا بن حذافه بن قيس.

- السنة الثامنة من الهجرة:

سرية شجاع بن وهب الأسدي – سرية نجد – سرية كعب بن عمير – غزوة مؤته – غزوة ذات السلاسل – غزوة سيف البحر – سرية أبي قتادة إلى خضره – غزوة بني جذيمة – غزوة حنين – غزوة أو طاس – غزوة الطائف.

- السنة التاسعة من الهجرة

سرية الضحاك بن سفيان إلى القرطاء – سرية علقمه بن مجزز المدلجي – سرية على بن أبي طالب إلى الفلس – سرية عكاشة بن محصن إلى أرضه عذل – غزوة تبوك.

- عن عبد ا بن زيد عن أبيه قال غزا رسول ا تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منها وكانت سراياه التي بعث بها ٤٧ سرية والغزوات التي قاتل فيها الرسول هي بدر – احد – المريسيع – الخندق – بني قريظة – خيبر – فتح مكة – حنين – الطائف.

الفصل التاسع

هجرة الرسول أعظم عملية
مخابرات في العصر القديم..!

هجرة الرسول..
أعظم عملية مخابرات في العصر القديم..!

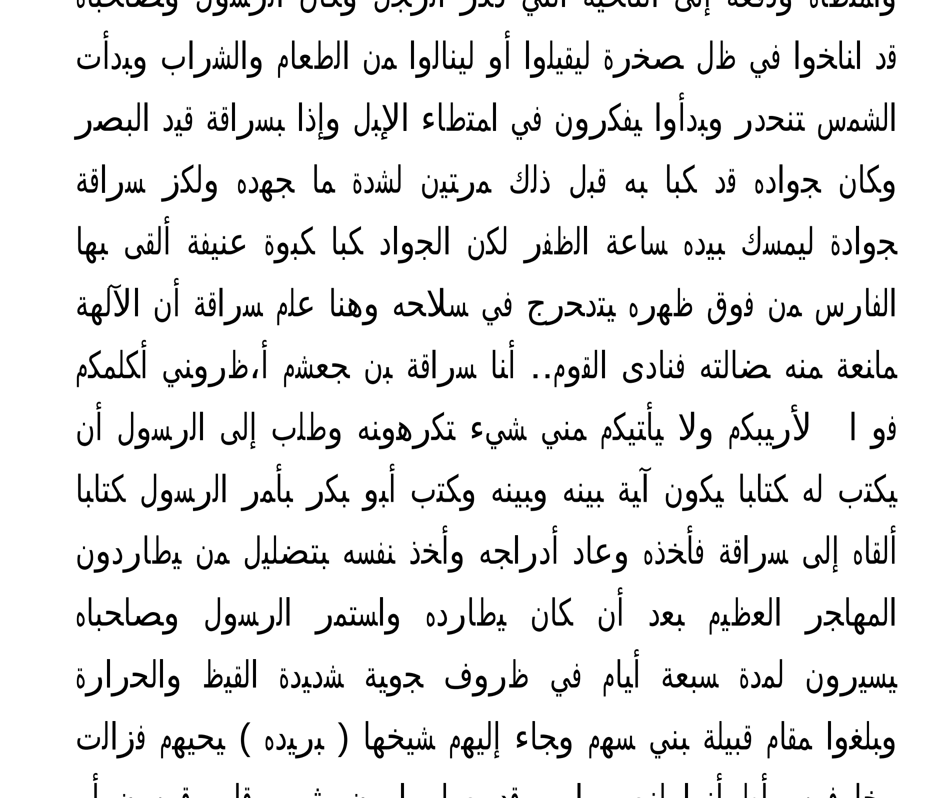
قبل أن ندخل في معمعة المعارك والحروب التي خاضها المسلمون تحت قيادة الرسول ﷺ عليه وسلم في الغزوات والسرايا. نود أن نقف أمام (عملية) هجرة الرسول من مكة إلى المدينة لأنها تمثل في رأينا إحدى أعظم عمليات المخابرات في العالم القديم. فإذا كانت المخابرات تعني قديما وحديثا السرية التامة حتى لا تتسرب أي خطط أو معلومات إلى الخصم ثم الحرص على معرفة اكبر قدر من معلومات وخطط الخصم وأخيرا عمليات التمويه والخداع التكتيكي حتى يبني الخصم خططا وهمية ليس لها وجودا إلا في ذهنه فقط – إذا كانت المخابرات تمثل كل هذا فلابد أن هجرة الرسول عليه السلام من مكة إلى المدينة تعد من أعظم عمليات المخابرات لأنها قد شملت على ذلك كله في أرقى وأعظم صورة.. فعلى مدى ثلاثة عشر عاما عاش الرسول ومعه المسلمون في مكة تحت وطأة أقسى صنوف العذاب والتنكيل من قريش ولم يكن الرسول يملك لصحابته إلا أمرهم بالصبر طمعا في الجنة.. ثم أذن الرسول الكريم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين وكان فتح ا عظيما على المسلمين عندما تمكن محمد عليه السلام من عقد اتفاق النصرة والحماية مع أهل يثرب.. وهنا أدرك

القرشيون أن الرسول حتما سيهاجر إلى يثرب حبذا بعد أن سبقه بعض صحابته بالهجرة. ورأى أهل مكة في تلك الهجرة خطرا عليهم وخاصة على تجارتهم مع الشام التي تمر بيثرب فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوا محمدا حتى يدرءوا عن أنفسهم هذا الخطر. على الجانب الآخر كان الرسول عليه السلام كتوما حريصا ولم يجعل لأحد إلى سره سبيلا حتى أبو بكر الصديق الذي أستأذن من الرسول في الهجرة معه فأستمهله النبي بعض الوقت فأعد أبو بكر راحلتين وظل لا يعرف من الأمر إلا قليلا. وظل الرسول بمكة حتى علم من أمر قريش ما علم وحتى لم يبقى من المسلمين بها إلا القليل وانتظارا لأمر ربه. فلما جاءه الأمر الإلهي بالهجرة ذهب إلى بيت أبي بكر وأخبره بأن ا قد أذن له بالهجرة وطلب من الصديق أن يصحبه في هجرته. وهنا تبدأ قصة من أجل وأعظم ما عرف تاريخ المغامرة في سبيل الحق والعقيدة والإيمان. وكان أبو بكر قد أعد راحلتيه ودفعهما إلى عبد ا بن أريقط يرعاهما لميعادهما. وفي ليلة الهجرة أسر الرسول إلى علي بن أبي طالب أن يتسجى في برده الحضرمي الأخضر وأن ينام في فراشه وهكذا يصبح علي بن أبي طالب أول بطل من أبطال مخابرات الرسول بقيامة بهذه العمل المحفوف بالمخاطر للتمويه على كفار قريش. وأمر الرسول عليا أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه

الودائع والأمانات التي كانت للناس عنده.. وكان فتية قريش قد تحلقوا حول بيت الرسول وراحوا ينظرون من فرجة إلى مكان نوم النبي فيرون في الفراش رجلا تطمئن نفوسهم إلى انه لم يفر. فلما كان الثلث الأخير من الليل خرج الرسول في غفلة منهم إلى دار أبي بكر وخرجا من ظهر الدار وانطلقا جنوبا إلى غار (ثور) فان اتجاههما نحو اليمن لم يكن مما يرد بالبال وزاد الرسول في التمويه بأن سلك طرقا غير مألوفة. ولم يكن يعلم بمخبئ الرسول وصاحبه في الغار إلا عبد ا بن أبي بكر وأختية عائشة وأسماء ومولاهم عامر بن فهير ومن هؤلاء تكونت أول كتيبة مخابرات في الإسلام عملت بكل الدقة والتنسيق حتى نجحت في مهمتها. فرغم أننا لا يمكن أن نغفل أبدا (للعامل الإلهي) في معجزة الهجرة إلا أننا أيضا يجب ألا نضع من قيمة (العامل البشري) الذي استثمر (أسباب ا) أفضل استثمار فحصل على أعظم النتائج. حيث كان عبد ا بن أبي بكر يقضي نهاره بين قريش يستمع ما يأتمرون بالرسول ليذهب ليلا إلى النبي وأبيه يقضي عليهما ما سمعه. وكانت أسماء (ذات النطاقين) تحمل الطعام إلى المهاجرين العظيمين أما عامر فكان يرعي غنم أبي بكر فإذا أمسى أراح عليهما فاحتلبا وذبحا وإذا عاد عبد ا من الغار تبعه عامر بالغنم فعفى على أثار قدميه وقدمى أسماء لأن قريش كما نعلم

كانت خبيرة (بالأثر) فكان لابد من طمس معالم الأقدام حتى لا تدلهم على مكان الرسول وصاحبه. وظل الرسول بالغار ثلاثة أيام أقبل خلالها فتيان قريش من كل بطن رجل ولقوا راعيا على مقربة من الغار فسألوه عن محمد وصاحبه فكان جوابه قد يكونان بالغار وإن كنت لم أر أحدا أمه. ونظر أحدهم إلى الغار وعاد ليقول إن عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد وقد رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس احد فيه.. وهكذا نجد انه عندما تنقطع الأسباب يتدخل (المسبب) سبحانه وتعالى لينفذ مشئيته وإرادته في إنقاذ رسوله الكريم وفي اليوم الثالث حين سكن الناس أتى عبد ا بن أريقط إلى الغار بالبعيرين للرسول وأبي بكر وبعير له واتخذوا إلى يثرب طريقا غير الطريق الذي ألف الناس متجهين إلى الجنوب بأسفل مكة ثم متجهين إلى تهامه على مقربة من شاطئ البحر الأحمر ولما كانوا في غير الطريق الذي ألف الناس اتجه عبد ا بن أريقط وهو دليل الرحلة بالركب شمالا محاذيا الشاطئ مع الابتعاد عنه متخذا من السبل ما ندر أن يطرقه احد وأمضى الركب الليل وصدر النهار على الرواحل لا يعبأ بمشقة أو تعب.

ورغم كل هذا الحرص فقد رأى الركب رجل فأسرع إلى قريش وأخبرهم انه رأى ثلاثة مروا عليه يعتقدهم محمدا وبعض أصحابه



وكان سراقة بن مالك بن جعشم حاضرا فقال إنما هم بنو فلان ليضال القوم ويفوز بمغنم النوق المائة التي حددتها قريش لمن يقبض على الرسول ومكث سراقة مع القوم قليلا ثم عاد إلى بيته فتدجج بسلاحه وأمر بفرسه فأرسل إلى بطن الوادي حتى لا يراه احد ساعة خروجه وامتطاه ودفعه إلى الناحية التي ذكر الرجل وكان الرسول وصاحباه قد اناخوا في ظل صخرة ليقيلوا أو لينالوا من الطعام والشراب وبدأت الشمس تنحدر وبدأوا يفكرون في امتطاء الإبل وإذا بسراقة قيد البصر وكان جواده قد كبا به قبل ذلك مرتين لشدة ما جهده ولكز سراقة جوادة ليمسك بيده ساعة الظفر لكن الجواد كبا كبوة عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره يتدحرج في سلاحه وهنا علم سراقة أن الآلهة مانعة منه ضالته فنادى القوم.. أنا سراقة بن جعشم أ،ظروني أكلمكم فو ا   لأريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه وطلب إلى الرسول أن يكتب له كتابا يكون آية بينه وبينه وكتب أبو بكر بأمر الرسول كتابا ألقاه إلى سراقة فأخذه وعاد أدراجه وأخذ نفسه بتضليل من يطاردون المهاجر العظيم بعد أن كان يطارده واستمر الرسول وصاحباه يسيرون لمدة سبعة أيام في ظروف جوية شديدة القيظ والحرارة وبلغوا مقام قبيلة بني سهم وجاء إليهم شيخها (بريده) يحيهم فزالت مخاوفهم وأطمأنوا لنصر ا   وقد صاروا من يثرب قاب قوسين أو

أدنى وكان أهل يثرب قد علموا بأمر خروج الرسول فراحوا ينتظرونه عند أطراف المدينة وأنهم لينتظرون يوما كعادتهم إذ صاح بهم رجل يهودي كان قد رأى ما يصنعون (يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء)

وكان اليوم جمعة فخرج أهل يثرب مهللين مرحبين بالرسول الكريم وقالوا نشيدهم الجميل

طلع البدر علينا * * * من ثنية الوداع

وجب الشكر علينا * * * ما دعى داع

الفصل العاشر

مخابرات الرسول

النبي الأمي الذي غير التاريخ..!

مخابرات الرسول

النبي الأمي الذي غير التاريخ..!

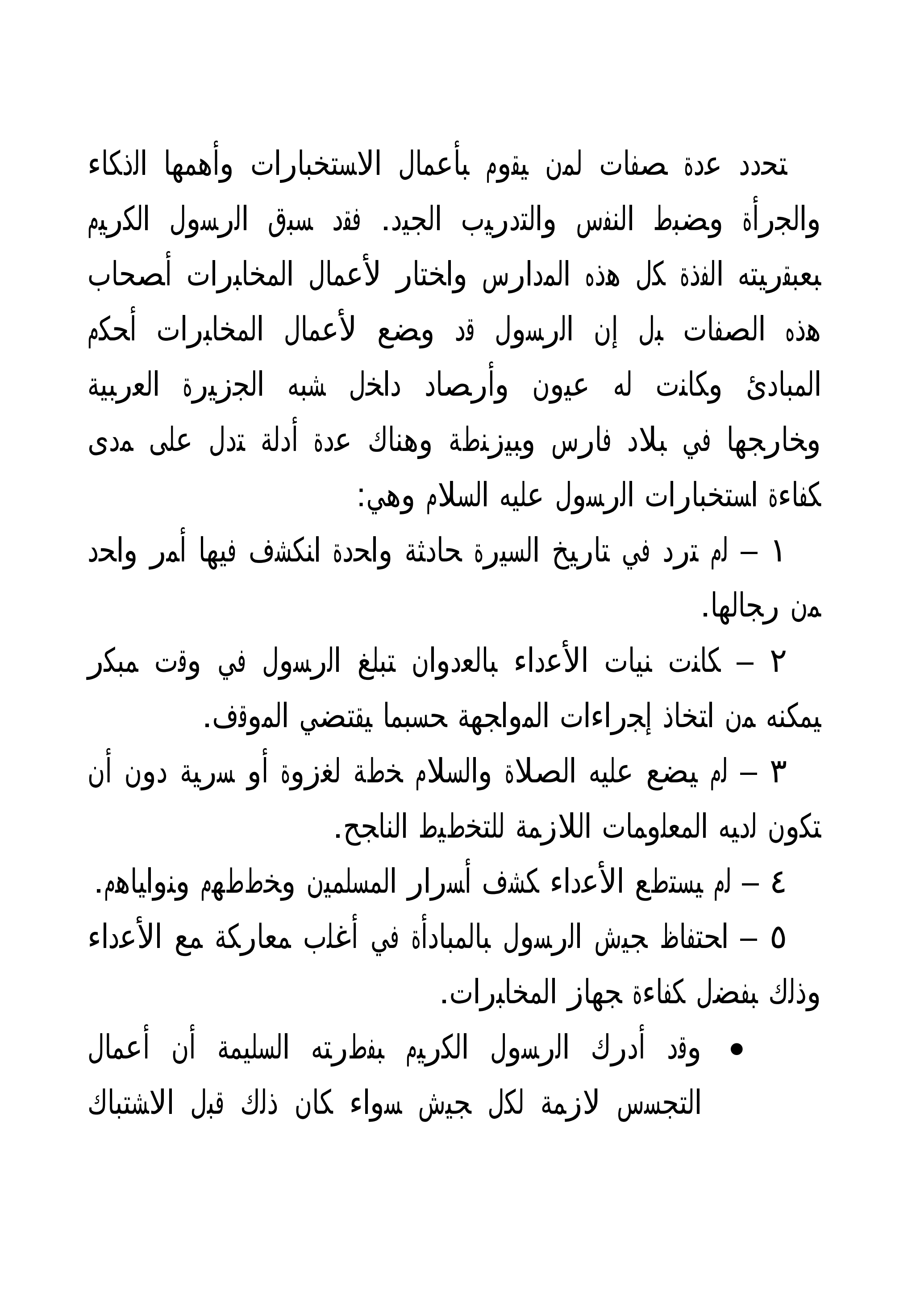
لا شك في أن مناط الإعجاز في رسول ا ﷺ هو (بشريته) ذلك النبي الأمي الذي غير التاريخ وأصبح معجزة برسالة ربه إليه ومعجزة أيضا بشخصيته الفذة العملاقة التي صعب على كل الدارسين الإحاطة بأبعادها وأعماقها فقد امتلك رسول ا كل مزايا القيادة والزعامة تلك المزايا التي جعلته يركن طوال ثلاثة عشر عاما قضاها في مكة إلى (سياسة الدعوة) فقط.. ولكنه بعد الهجرة غير من استراتيجيته لتصبح " سياسة الدولة " وبدأت على يديه الأسس الأولى لقيام الدولة الإسلامية – وسياسة الدولة جعلت الرسول العظيم يدرك انه من الضروري الحصول على المعلومات عن العدو حتى يمكن (بناء القوة) المناسبة والتي يمكنها تحقيق الهدف الذي أمر ا تعالى به وهو إيقاع الرهبة في قلب العدو وإخافته من عاقبة عدوانه وهذا هو ما تقرره الاستراتيجية العسكرية الحديثة حين تضع (المعلومات عن العدو) على رأس الأسس التي تبني عليها استراتيجية الدولة من حيث تكون قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليمها وأساليب قتالها وأساليب إدارة المعركة. هذا بالإضافة إلى عناصر الاستراتيجية الأخرى كالقوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعنوية وغيرها –

ويجب أن يكون الحصول على المعلومات عن العدو (عملا مستمر لا يتوقف) في السلم والحرب على حد سواء ذلك لأن القوة تتطور مع تطور العلم والخبرات المكتسبة من الحروب وهذا التطور له تأثيره المباشر على (توازن القوى) ويجب أيضا الوقوف على (أحدث) المعلومات عن العدو أولا بأول فذلك مطلب حيوي لتحقيق أمرين في غاية الأهمية هما..

الإنذار المبكر.. وسلامة التخطيط وواقعيته..

فإذا قصرت الأمة في هذا الأمر فإنها تفقد (المبادأة) وحرية العمل فتتعرض للمفاجأة من عدوها وتفقد القدرة على (الحركة السريعة) لمواجهة أي عدوان عليها.. وبشكل عام فالإسلام يحذر من إهمال معرفة العدو والحصول على كافة المعلومات عنه فقد جاء التنبيه الإلهي في القرآن الكريم محذرا (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) النساء ١٠٢ ويقول تعالى أيضا ﴿ يا أيها الذين أمنوا خذوا حذركم ﴾ النساء ١٠٢ ويقول تعالى أيضا ﴿ **وأطيعوا ا وأطيعوا الرسول وأحذروا** ﴾ المائدة ٩٢.

ومن هنا نفهم لماذا عني الرسول القائد بأمر الاستخبارات عناية فائقة فأختار لها أكفأ العناصر فإذا كانت أحدث مدارس المخابرات في العالم.



تحدد عدة صفات لمن يقوم بأعمال الاستخبارات وأهمها الذكاء والجرأة وضبط النفس والتدريب الجيد. فقد سبق الرسول الكريم بعبقريته الفذة كل هذه المدارس واختار لأعمال المخابرات أصحاب هذه الصفات بل إن الرسول قد وضع لأعمال المخابرات أحكم المبادئ وكانت له عيون وأرصاد داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها في بلاد فارس وبيزنطة وهناك عدة أدلة تدل على مدى كفاءة استخبارات الرسول عليه السلام وهي:

١ – لم ترد في تاريخ السيرة حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجالها.

٢ – كانت نيات الأعداء بالعدوان تبلغ الرسول في وقت مبكر يمكنه من اتخاذ إجراءات المواجهة حسبما يقتضي الموقف.

٣ – لم يضع عليه الصلاة والسلام خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح.

٤ – لم يستطع الأعداء كشف أسرار المسلمين وخططهم ونواياهم.

٥ – احتفاظ جيش الرسول بالمبادأة في أغلب معاركة مع الأعداء وذلك بفضل كفاءة جهاز المخابرات.

- وقد أدرك الرسول الكريم بفطرته السليمة أن أعمال التجسس لازمة لكل جيش سواء كان ذلك قبل الاشتباك

الحربي أو في خلال الحرب فيها يعرف القائد نيات عدوة ويحصل على معلومات تفيده في وضع خططه وكانت عادة الرسول انه يكثر من العيون في غزواته كلها حتى يعرف عن عدوة اكبر قدر مستطاع من المعلومات ولذا أمر زيد بن ثابت، أن يتعلم لغة اليهود وكتابتهم فتعلمها ولا ريب في أن معرفة لغة الأعداء تخدم صاحبها في الحروب أجل الخدمات وقد إستن رسول ا لرجال مخابراته منهجا يعد من أحدث المناهج في زماننا وذلك انه كان ينهاهم عند خروجهم أن يحدث أحدهم حدثا ينبه إليه أو يقتل أحدا إلا إذا اجبر على ذلك لأن فوز الجاسوس بالمعلومات النافعة أهم في نظرة القيادة الحكيمة من قتل عدة فوارس. وقد ابتكر الرسول طريقة جديدة في عالم المخابرات لم تعرفها أحداث أجهزة المخابرات إلا في العصر الحديث وهي ما يعرف بـ (الأوامر المختومة) حيث يحمل رجل المخابرات رسالة مغلقة من قائده ولا يفتحها إلا في مكان معين وزمان معين.

لم يكن الرسول معتديا

وقبل أن ندخل إلى عالم العبقرية الحربية للرسول ﷺ نؤكد على أن الرسول في كل حروبه لم يكن أبدا معتديا فكل حروبه كانت دفاعا عن النفس والعقيدة حتى الحروب التي كانت له (المبادرة) فيها فقد كانت دفاعا عن النفس والعقيدة بعد أن نكث الأعداء بالعهد وكان الرسول يرى في الحرب ضرورة بغيضة يلجأ إليها ولا حيلة له في اجتنابها وكان يتجنبها كلما تيسرت له الحيلة الناجحة. وقد نظم الإسلام نزعة الحرب أسمى تنظيم ووجهها أسلم وجهة وأنزلها في المنزلة التي خلقت من أجلها وقد كان الرسول أول من إستن (أخلاقيات الحرب) فقد أعطى أوامره المشددة بأنه لا يجوز بأية حال قتل غير المحاربين في الميدان ومنع الرسول التعرض للنساء والأطفال والشيوخ والرهبان وحرم إتلاف الأموال والإحراق بالنار والتمثيل بالقتلى.

الفصل الحادي عشر

مناوشات وسرايا
قبل بدر

مناوشات قبل بدر

لم يشترك الأنصار (أهل يثرب) في كل السرايا والمناوشات التي سبقت غزوة بدر وذلك لأن الرسول قد عاهدهم على أن يدافعوا عنه لا أن يهاجموا معه. ولم يذهب الرسول بنفسه في هذه السرايا ولكنه كان موجودا بالتخطيط والتوجيه حيث كان يهدف من وراء هذه السرايا إلى: -

١ – رغبته في أن تشعر قريش أن المسلمين في المدينة قوة وأن في استطاعتهم قطع طريق القوافل إلى الشام وأن هذا معناه ضرورة إعادة النظر في موقف قريش من محمد وصحبه وأن على قريش أن تفكر جديا في أن مصلحتها تقتضي التفاهم مع المسلمين فتكفل لهم حرية الدعوة إلى الدين في مقابل سلامة تجارتهم وقوافلهم.

٢ – رغبة الرسول في أن يعقد الصلح والمعاهدات مع القبائل التي تقطن بجوار المدينة.

* وقد بدأت سرايا الرسول بعد ستة أشهر فقط من هجرته إلى المدينة ويجب أن نؤكد على أن هذه السرايا كانت أحد أهم (مظاهر) وجود الدولة الإسلامية الجديدة.. والسرية جماعة من المقاتلين وأقصاها أربعمائة مقاتل.

سرية حمزة..

علم الرسول من عيونه ورجال مخابراته بأن قافلة لقريش بقيادة أبو جهل ابن هشام تتكون من ثلاثمائة راكب من أهل مكة في طريقها إلى الشام. وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة فبعث الرسول عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكبا من المهاجرين إلى سيف البحر (شاطئ) من ناحية العيص (ناحية من نواحي المدينة) وعقد له لواء أبيض حمله أبو رثد وأمره أن يعترض قافلة قريش وكان الرسول عليه السلام يريد أن يفرض على قريش نوعا من (الحصار الاقتصادي) وذلك بأن يصادر تجارتها في ذهابها وإيابها ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة فتضعف قوتهم المادية ومن ثم تضعف قوتهم العسكرية. والتقى الجمعان إلا أن مجدي بن عمرو الجهني اعترض الفريقين وكان موادعا للطرفين فدعاهما إلى الانصراف فانصرفا دون قتال.

سرية عبيدة

في شوال من السنة الأولى للهجرة جاءت الأخبار إلى الرسول بأن تجارة قريش في الطريق فبعث عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ثمانين راكبا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حمله سطح بن أثانه ليعترض تجارة قريش فسار عبيدة حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فوجد عندها جمعا من قريش يبلغ المائتين بقيادة مكرز بن حفص ولم يحدث بينهما قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى بسهم وربحت هذه السرية خروج المقداد بن عمرو وعتبه بن غزوان من صفوف المشركين ليدخلا في صفوف المسلمين.

غزوة الأبواء

الأبواء قرية تقع بين مكة والمدينة وسميت هكذا لتبوئ السيول بها وقيل لما كان بها من الوباء وأطلق التجار على هذه الغزوة الأبواء وأطلق عليها ابن الخفاف (ودان) لقرب المكانين حيث يفصل بينهما ستة أميال.

وحدثت هذه الغزوة في بداية السنة الثانية من الهجرة حينما علم الرسول من عيونه المبثوثة أن تجارة كبيرة لقريش ستمر بطريق الشام فقرر الرسول ﷺ أن يقود هذه الغزوة بنفسه حيث استخلف على المدينة سعد بن عبادة وخرج وسط جمع من المهاجرين دون الأنصار

ومضى جيش الرسول حتى بلغ ودان ليكتشفوا أن عير قريش قد سبقتهم ومرت قبلهم فلم يحدث اشتباك ولكن الرسول صالح بني خمره وحالفها.. وكانت هذه أول غزوة للرسول غاب فيها عن المدينة خمس عشرة ليلة.

غزوة بواط.

بواط جبل ناحية رضوى وهو أحد الجبال التي بنى منها أساس الكعبة. فبعد عودة الرسول من غزوة الأبواء وجاءته أخبار عاجلة من رجال مخابراته بأن عيرا لقريش عائدة من الشام وفيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير فقرر الرسول الخروج بنفسه على رأس مائتين من المهاجرين واستخلف على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون وحمل لواء جيش الرسول سعد بن أبي وقاص.

ومضى الرسول حتى بلغ بواط فلم يجد العير حيث علمت قريش بخروج الرسول فأسرعت هاربة إلى مكة فعاد جيش المسلمين دون قتال وكانت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول.

غزوة العشيرة.

بعد أقل من شهرين من غزوة بواط جاءت الأخبار إلى الرسول لتؤكد بأن قافلة لقريش في طريقها إلى الشام تحمل أموالا طائلة (١٥٠ ألف دينا وألف بعير) ويقودها أبو سفيان بن حرب ومعه

تسعة وثلاثون رجلا من قريش فاستخلف الرسول على المدينة أبا سلمه بن عبد الأسد وخرج ومعه مائتان من المهاجرين ووصل إلى العشيرة من بطن ينبع فعلم أن القافلة قد مرت قبل قدومه بأيام فعاد الرسول إلى المدينة ولكنه حالف قبل عودته بني مدلج.

غزوة سفوان

بعد عودة الرسول من غزوة العشيرة أغار كرز بن جابر الفهري وهو من حلفاء قريش على أبل المدينة وأغنامها فخرج النبي في طلبه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وسار الرسول حتى بلغ وادي سفوان ناحية بدر فلم يجد كرز بن جابر وقد سلك الرسول في هذه الغزوة نقب بني دينار ثم فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة يقال لها ذات السامة فأدى الصلاة وأقام بها مسجدا ولقد كانت هذه الغزوة السبب في أحداث غزوة بدر الكبرى لذلك يطلق عليها المؤرخون (غزوة بدر الصغرى).

سرية عبد ا بن جحش.. الأوامر المختومة

سوف تشهد هذه السرية ابتكارا جديدا في عالم المخابرات ابتكره الرسول عليه السلام ولم يكن معروفا قبل ذلك ولم تعرفه أجهزة المخابرات إلا في العصر الحديث وهذا الابتكار وهو ما نطلق عليه (الأوامر المختومة) أي الرسائل المغلقة التي يحملها الجندي من

قائده ولا يفتحها إلا في مكان معين وزمان معين. ففي شهر رجب من العام الثاني للهجرة بعث الرسول عبد ا بن جحش الأسدي ومعه جماعة من المهاجرين ودفع إليه بكتاب أمره ألا يفتحه ألا بعد يومين من مسيره ثم يعمل بما فيه. وبعد اليومين فض عبد ا الكتاب فوجد فيه أمضى حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارها وحين وصل عبد ا وصحبه نخلة تخلف عن الركب سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان إذ ذهبا يبحثان عن بعيرين ضلا فأسرتهما قريش دون علم عبد ا ومرت قافلة قريش فتردد عبد ا ومن معه أيقاتلوا في الشهر الحرام أم لا. ولكن واقد بن عبد ا التميمي رمى بسهمه عمروي بن الحضري فقتله وأسر المسلمين كل من عثمان بن الحكم والحكم بن كيسان وغنموا كل ما في القافلة وعادوا إلى المدينة فتردد الرسول ﷺ في أخذ خمس الغنيمة حتى نزل قول ا تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل ا وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه اكبر عند ا والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) البقرة ٢١٧ فأطمأن قلب الرسول وحدث تبادل للأسرى فعاد سعد وعتبة وأسلم الحكم بن كيسان وحسن إسلامه حتى مات شهيدا في غزوة مؤته وعاد عثمان بن عبد ا إلى مكة ليموت بها كافرا.

الفصل الثاني عشر

غزوة بدر

معارك الاستكشاف وتحليل المعلومات

غزوة بدر

معارك الاستكشاف وتحليل المعلومات

تمثل غزوة بدر في التاريخ الإسلامي (الإعلان) الأول والأعظم عن ميلاد (دولة المسلمين). فهي الانتصار العسكري الأول على قوى الشرك في مكة. وهي آخر سطر في صفحة (التوأمة) بين المهاجرين والأنصار. وهي (الترضية الإلهية) لكل الذين ظلموا وعذبوا فصبروا وصمدوا فكانت بدر (جائزة ا   الكبرى) لعباده الصابرين والكلام عن غزوة بدر وأثارها طويل طويلً ولا ينقطع وقد كان ولا زال (ينبوغ إلهام) لكل المؤرخين أما نحن فنحاول فقط أن نلقي الضوء على هذه الغزوة العظيمة من وجهة نظر (علماء المخابرات) وللحق فقد كانت بدر معركة من أقوى وأعظم معارك المخابرات في العصر القديم فقد سبق التلاحم العسكري بين المسلمين والمشركين – (معاركة مخابراتية) كثيرة وطويلة في محاولة مضنية لعمل (الاستكشاف) ثم الحصول على المعلومات و (تحليل) هذه المعلومات وأخيرا بناء الخطط العسكرية بناء على نتائج هذا الاستكشاف وعلى تحليل المعلومات.. وسنحاول فيما يلي أن نقرأ أحداث غزوة بدر قراءة جديدة من خلال (عيون) علماء المخابرات والجاسوسية.

خرج أبو سفيان في أوائل الخريف من السنة الثانية من الهجرة في تجارة كبيرة يقصد الشام وعلم رسول ا خبر هذه القافلة من عيونه المبثوثة في كل مكان فخرج على رأس عدد كبير من المسلمين ووصلوا إلى (العشيرة) لكن القافلة كانت قد مرت قبل يومين من وصولهم إليها فاعتزم الرسول انتظار هذه القافلة في طريق عودتها وبعث خلفها طلحة بن عبد ا وسعيد بن زيد يلتمسان خبرها فسار حتى نزلا على رجل يدعي (كشد الجهني) في منطقة الحوراء وأقاما عنده في خباء حتى عادت القافلة فأسرعا إلى الرسول ليقولا له الخبر فوجدا الرسول قد علم الكثير عن تلك القافلة من خلال رجال مخابراته فقد علم أنها عير عظيمة اشترك فيها كل أهل مكة وتقدر بخمسين ألفا من الدنانير فخطب الرسول في المسلمين قائلا (هذه عير قريش فأخرجوا إليها لعل ا ينفلكموها).

وفي المقابل علم أبو سفيان من خلال عيونه هو الآخر بنبأ خروج الرسول لاعتراض قافلته في رحلة العودة من الشام فخاف على تجارته بعد أن ربحت فراح يجمع الأخبار حتى نزل على الجهني الذي نزل عليه رسولا النبي بالحوراء فسأله عن أخبار المسلمين ومع أن الجهني لم يصدقه بالخبر فقد علم أن الرسول قد خرج في جمع من المهاجرين والأنصار لمقابلته فأستأجر أبو سفيان رجلا يدعى

(ضمضم بن عمرو الغفاري) وبعثه مسرعا إلى مكة ليستنفر قريشا إلى أموالهم ويخبرهم أن محمد قد عرض لها ووصل ضمضم إلى بطن الوادي من مكة فقطع أذني بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح يا معشر قريش (اللطيمة – اللطيمة (المال والتجارة).. الفوت.. الفوت.. وما لبث أبو جهل حين سمعه أن صاح بالناس من عند الكعبة يستنفرهم فخرجت قريش كلها ولم يبق في مكة متخاف قادر على القتال.

أما الرسول عليه السلام فقد خرج في أصحابه من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكانت أمام المسلمين في مسيرتهم رايتان سوداوان وكانت إبلهم سبعين بعيرا يعتقبونها (كل ثلاثة أو أربعة يتناوبون ركوب بعير واحد حيث كان عدد المسلمين ثلاثمائة وخمسة منهم ثلاث وثمانون من المهاجرين وواحد وستون من الأوس والباقي من الخزرج. وعندما وصلت الطلائع الاستكشافية لجيش المسلمين إلى موضع (عرق الظبية) لقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن القافلة فلم يجدوا عنده خبرا فانطلقوا حتى أتو واديا يقال له (زمران) نزلوا فيه وهناك جاءهم الخبر من مكة بأن قريشا قد خرجت لتدافع عن عيرها فوقف الرسول خطيبا في جيش المسلمين وأخبرهم بما بلغه من أمر قريش وطلب المشورة من

أصحابه فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد بن عمرو فقال (يا رسول ا أمض لما أراك ا فنحن معك وا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إن ها هنا قاعدون. ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فأشرق وجه الرسول وسكت الناس فقال النبي أشيروا علي أيها الناس وكان يقصد الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على حرب خارج حدود مدينتهم. فلما أحس الأنصار أن الرسول يريدهم قام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يا رسول ا ؟ فقال أجل.. قال سعد (لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فأمض لما أردت فنحن معك فو الذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخاف منا رجل واحد وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ولعل ا يريك منا ما تقربه عينيك فسر بنا على بركة ا) ولم يكد سعديتم كلمته حتى أشرق وجه الرسول وقال (سيروا وأبشروا فإن ا قد وعدني إحدى الطائفتين وا لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم).

وارتحل جيش المسلمين حتى إذا كانوا على مقربة من بدر انطلق الرسول ومعه أبو بكر وحدهما حتى وقفا على شيخ من العرب يقال له سفيان فسأله الرسول دون أن يعرفه الشيخ عن قريش وعن محمد فقال الشيخ سفيان قد بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا في يوم كذا فإن كان الذي أخبرت به صدقا فهم اليوم بمكان كذا. وبلغني أن قريشا قد خرجوا يوم كذا فإن كان الذي أخبرت به صدقا فهم اليوم بمكان كذا. ولما كان المكان الذي حدده الشيخ لجيش النبي صحيحا فقد أدرك الرسول أن الموقع الذي قال الرجل إن قريشا به صحيح أيضا وعاد الرسول إلى جيشه ودعا لهم وقال اللهم أنهم حفاه فأحملهم.. اللهم أنهم عراة فاكسهم.. اللهم أنهم جياع فأشبعهم).

وبعث الرسول (بفرقة استكشافية) بقيادة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر فوجدا غلامين من موالي قريش أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص فأتوا إلى رسول ا الذي استجوبهما بنفسه كما يلي

الرسول: أخبراني عن قريش؟

الغلامان: هم وراء هذا الكثيب بالعدوة القسوى.

الرسول: كم القوم؟

الغلامان: وا كثير عددهم شديد باسم.

الرسول: ما عددهم؟

الغلامان: لا ندري

الرسول: كم تنحرون كل يوم؟

الغلامان: يوما تسعا ويوما عشرا

فقام الرسول بعملية (تحليل) سريعة لهذه المعلومات ثم قال لأصحابه (القوم ما بين التسعمائة والألف) قياسا على أن الناقة أو الجمل يمكن أن تطعم مائة رجل. ثم عاد الرسول وسأل الغلامين عن أشراف قريش في الجيش فقالا عتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعه وأبو البحتري بن هشام ونوفل بن خويل والحارث بن عامر وطعيمه بن عدى والنضر بن الحرب وأبو جهل بن هشام وأميه بن خاف وسهيل العامري وعمرو بن عبد ود.. فقال الرسول لأصحابه هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها..

وعاد الرسول فبعث بفرقة استكشافية صغيرة مكونة من رجلين فقط فسارا حتى نزلا ماء بدر فأناخا إلى تل قريب من الماء وأخذا وعاء لهما يستقيام فيه ومجدى بن عمرو بقربهما لم يفطنا إليه وسمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي اك. فصرف مجدي الجاريتين

حيث كان عينا لأبي سفيان وعاد الرجلان فأخبر الرسول بما سمعا. أما أبو سفيان فسبق القافلة يتسمع الأخبار حذرا أن يكون محمد قد سبقه إلى الطريق فلما ورد الماء قال لمجدي هل أحسست أحدا؟ فذكر له أمر الراكبين وأشار إلى حيث أناخ الرجلان.. فأتى أبو سفيان مناخهما والتقط روث البعيرين فوجد فيه (نوى) عرف فيه علائف يثرب فعلم أن جيش المسلمين قريب فأسرع عائد إلى أصحابه وعدل بالسير عن الطريق مساحلا البحر مسرعا في سيره حتى بعدما بينه وبين محمد ونجا بقافلته، فأرسل إلى قريش يخبرهم انه قد نجا ليرجعوا فأبى أبو جهل وقال وا لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم عليه ثلاثا ننحر الجذر ونصعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها. وتردد القوم بين أتباع أبي جهل مخافة أن يتهموا بالجبن وبين الرجوع بعد أن نجت عيرهم فلم يرجع إلا بنو زهوة الذين اتبعوا مشورة الأخنس بن شريق وكان فيهم مطاعا.. أما سائر قريش فقد اتبعت أبا جهل ونزلوا بالعدوة القصوى خلف كثيب من الرمل يحتمون به وراحوا يتشاورون ويتهيئون للحرب. أما المسلمون بعد أن فاتتهم غنيمة القافلة فقد أجمعوا على أن يثبتوا للعدو إذا أجمع محاربتهم ونزل الرسول بجيش المسلمين في مكان على مسافة من

بئر بدر وكان الحباب بين المنذر بن الجموح عليما بالمكان فقال للرسول.. يا رسول ا أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه ا فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر؟ أم هو الرأي والحرب.

والمكيدة؟ فقال الرسول بل هو الرأي والحرب والمكيدة.. فقال الحباب يا رسول ا فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ننزل ثم نقور (نكيس البئر بالتراب حتى ينضب ما وراءه من القلب (جمع قليب وهو البئر) ثم نبني عليه حوضا تملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا. فرأي الرسول صواب ما أشار به الحباب فأتبع رأي صاحبه معلنا إلى قومه انه بشر مثلهم وأن الرأي شورى بينهم وانه لا يقطع برأي دونهم.

ولما بنى المسلمون الحوض حول البئر أشار سعد بن معاذ قائلا (يا نبي ا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقي عدونا فإن أعزنا ا وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخاف عنك أقوام يا نبي ا ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقي حربا ما تخلفوا عنك يمنعك ا بهم يناصحونك ويجاهدون معك) فأقر الرسول ما أشار به سعد.

ونزلت قريش منازل القتال وبعثوا عمير بن وهب الجمحي يتقصى لهم خبر المسلمين فركب فرسه وجال به حول معسكر النبي ثم رجع إلى قومه وقال لهم ثلاثمائة أو يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا لا كمين لهم ولا مورد ولكنهم قوم ليس لهم منعه إلا سيوفهم فلا يموت الرجل منهم قبل أن يقتل رجلا مثله).

وقام عتبه بن ربيعة وهو من قادة قريش وقال (يا معشر قريش إنكم وا ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا وا لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فأرجعوا أو خلوا بين محمد وسائر العرب فإن أصابوه فذلك الذي أردتم وإن كان غير ذلك لم نتعرض منه لما تكرهون فلما بلغة أبا جهل مقالة عتبة استشاط غضبا وبعث إلى عامر بن الحضرمي وصرخ فيه (هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فأنشد مقتل أخيك) فقام عامر وصرخ في قريش واعمراه فلم يبق بعد ذلك من الحرب مفر.

وكان الجيشان قد وقفا في المواجهة وكل منهما يعرف من خلال عمليات الاستكشاف وتحليل المعلومات كل شيء عن الجيش الآخر. وقد عجل بالقتال أن اندفع الآسود بن عبد الأسد المخزومي من بين صفوف قريش إلى صفوف المسلمين يريد أن يهدم الحوض الذي بنوه

فعاجله حمزة بن عبد المطلب بضربة أطاحت بساقه فسقط على ظزهره تشخب رجله دما فعاجله حمزة بضربة أخرى قضت عليه دون الحوض. وما إن سقط الأسود حتى خرج عتبة بن ربيعه بين أخيه شيبه وابنه الوليد من عتبه ودعا المسلمين إلى المبارزة فخرج له فتية من الأنصار فلما عرفهم قال لهم ما لنا بكم حاجة إنما نريد قومنا ونادى مناد منهم يا محمد أخرج إلينا الكفاءنا من قومنا فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وسرعان ما قتل حمزة وعلي كل من شيبه والوليد وأما عبيده وعتبه فقد أصاب كل منهما الآخر فأسرع علي وحمزة وقتلا عتبة وحملا عبيده إلى أصحابهما.

وفي صبيحة يوم الجمعة سبعة عشر من رمضان بدأ الالتحام بين المسلمين ومشركي قريش وأمر الرسول أصحابه ألا يحملوا على أعدائهم إلا بأمره وكانت آخر نصائحه لجيش المسلمين قبل أن يحمي الوطيس (أبعدوهم عنكم بالنبل) ووقف عليه السلام في العرين ومعه أبو بكر يوجه المعركة ويصدر التعليمات واشتد القتال وصال المسلمون وجالوا وفرت قريش فطاردهم المسلمون يقتلون منهم الكثير ويأسرون من لم يقتل وانتصر الرسول وجيش المسلمين انتصارا

عظيما حيث قتلوا من قريش سبعين رجلا وأسروا سبعين آخرين ووضعوا الأساس العظيم لبناء دولة الإسلام العظيمة.

الفصل الثالث عشر

مناوشات وسرايا قبل أحد

مناوشات وسرايا قبل أحد

عمل الانتصار المدوي الذي حققه المسلمون بقيادة الرسول في غزوة بدر على المشركين على زيادة (التوتر) بين الطرفين فقد راحت قريش تفكر في كيف (تثأر) لنفسها لترفع عن كاهلها أعباء الذل والعار.. والمسلمون بقيادة الرسول أخذوا يفكرون في كيفية الحفاظ على انتصارهم وكيفية تحقيق انتصارات أخرى ولكي يحسم كل طرف (الموقف) لصالحه فكان لابد من وجود (حرب) على مستوى غزوة بدر.. ولأن مثل هذه الحرب لا تحدث بمجرد (الإرادة) فقط لأنها تحتاج إلى عوامل كثيرة ومعقدة ومن هنا لم يكن أمام المسلمين وقريش إلا القيام ببعض المناوشات والسرايا الصغيرة انتظارا للمعركة الكبرى.

اليهود بلا عهد..!

كان يهود بني قينقاع أغني يهود المدينة حيث كانوا يعملون بصناعة الذهب وقد أبطرهم الغني وأعمارهم الحسد لرسول ا . فذهبت أمرأة من الأنصار إلى سوق لبني قينقاع تبيع بضاعة لها وجلست إلى صائغ فراودها جماعة من اليهود عن كشف وجهها فأبت. فعقد الصائغ طرف ثوبها إلى ظهرها دون أن تدري فلما وقفت بانت سوءتها فضحكوا منها وصرخت المرأة تستغيث بالمسلمين فقتل

احد المسلمين الصائغ اليهودي وقتل اليهود هذا المسلم. فنقض اليهود بهذه الأفعال المشينة العهد الذي كان بينهم وبين الرسول.. فلما بلغ الرسول خبر المرأة المسلمة غضب وقال (ما على هذا أقررناهم، ثم دعا اليهود وقال لهم (يا معشر اليهود أحذروا من ا مثل ما نزل بقريش من النقمة فإنكم قد عرفتم أني رسول ا تجدون ذلك في كتابكم وعهد ا تعالى إليكم به، فقال اليهود بكل الوقاحة (يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا وا لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا، فأنزل ا قوله تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم أية في فئتين التقيا)

وخشي الرسول من مواجهة اليهود لأن معلومات مخابراته قد أكدت له بأن حصون اليهود ممتلئة بكل أنواع السلاح ولكن ا ثبت قلب رسوله فأنزل عليه قوله تعالى (وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء) الأنفال ٥٨.

وكان بنو قنيقاع حلفاء للخزرج فلما علم عبادة بن الصامت احد رؤساء الخزرج ما كان من الإذن الإلهي من حربهم تبرأ من حلفهم في حين تمسك عبد ا بن أبي بهذا الحلف وهو يقول (أخي الدوائر)

وأعد الرسول جيشا كبيرا حمل لواءه حمزة بن عبد المطلب وكان ذلك في منتصف شوال فهرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون ودام الحصار ١٥ يوما فأيقن اليهود من عدم جدوى هذا الصمود الكاذب فأستسلوا وقبل الرسول وساطة عبادة بن الصامت وعبد إله بن أبي وقال لابن أبي هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها فغادر اليهود المدينة إلى منطقة (أذرعات) بالشام تاركين خلفهم سلاحهم وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغونه غنيمة للمسلمين وهكذا كتب ا على يهود بني قنيقاع النفي جزاء نكوثهم بالعهد.

غزوة السويق

بعد الهزيمة المزرية التي لحقت بقريش في غزوة بدر أقسم أبو سفيان ألا يمس النساء وألا يغسل بدنه بماء حتى يغزو محمدا ويثأر لقتلى بدر.

ولذلك جمع مائتي راكب من قريش وسار بهم مستخفين حتى خرجوا قرب المدينة في منطقة (العريض) فحرقوا بيتين وقتلوا رجلين من الأنصار ولما وصلت الأخبار للرسول خرج على الفور في جماعة من المسلمين فهرب أبو سفيان وصحبه وراح الرسول

يطاردهم وقريش تلقي بالزاد الذي معها من (السويق) حتى تخف حركتهم ولذلك سميت هذه الغزوة (غزوة السويق).

ا .. يمنعني

علم رسول ا ﷺ من عيونه المبثوثة في كل الطرق أن جماعة من غطفان تحت قيادة (دعثور) انتوت الاعتداء على المسلمين فخرج الرسول في جمع من أصحابه بلغوا أربعمائة وخمسين رجلا إلى منطقة (قرقرة الكدر) وذلك ليقطع الطريق على دعثور الذي هرب ومعه رجاله إلى زري الجبال فجلس الرسول ووضع سلاحه إلى جواره وتفرق أصحابه من حوله وفجأة ينزل دعثور شاهرا سلاحه في وجه الرسول قائلا من يمنعك مني يا محمد فيجيبه الرسول بكل الثبات.. ا فيسقط السيف من يد دعثور ويأخذه الرسول ويسأل دعثور من يمنعك مني؟ فيقول.. لا احد ويعفو عنه الرسول ليسلم الرجل ويدعو قومه إلى الإسلام.

الرهبة تهزمهم!

علم الرسول عليه السلام من رجال مخابراته أن جمعا من بني سليم قد بيتوا النية لغزو المدينة فخرج الرسول لملاقاتهم في ثلاثمائة من أصحابه ولما وصل إلى بحران. وجد القوم قد هربوا وعلموا بقدومه فرجع إلى المدينة دون قتال.

بنو ثعليه يفرون

وصلت الأخبار إلى الرسول تؤكد أن جماعة من بني ثعلبة ومحارب قد أعدوا العدة لغزوة سريعة على أطراف المدينة فخرج النبي في أربعمائة وخمسين من أصحابه ولكنه لم يجد أحدا. ووجد رجلا من ثعلبه فأخذ في استجوابه وعرف منه أن القوم قد هربوا إلى رؤوس الجبال.

الحصار الاقتصادي

تضررت قريش من حصار الرسول عليه السلام لقوافلها في ذهابها وعودتها من الشام واجتمعوا ليتشاوروا وسأل صفوان بن أميه ماذا نفعل؟

فأجاب الأسود بن عبد المطلب (تنكب الطريق إلى الساحل وخذ طريق العراق) وأضاف بأن خير دليل للطريق هو فرات بن حيان من بني بكر من وائل فلما سألوا فرات قال لهم (طريق العراق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد فإنما هي أرض نجد وفياف) وحضر كل هذه المشاورات رجل يثربي هو نعيم بن مسعود الأشجعي فعاد إلى المدينة وجرى على لسانه ذكر حديث قريش وما صنعت. ووصل الخبر إلى رسول ا ﷺ فبعث زيد بن حارثة في مائة راكب واعترضوا تجارة قريش عند القردة) ففر رجال القافلة وأصاب



المسلمون العير وأسروا فرات بن حيان فعرض عليه الرسول أن يسلم لينجو بنفسه فأسلم.

الفصل الرابع عشر

غزوة أحد.. انتصرت
المخابرات وتراجع الجيش.!

غزوة أحد..

انتصرت المخابرات وتراجع الجيش.!

توالت الكوارث على مشركى قريش فأنهزموا في بدر ثم في غزوة السويق ثم استولى زيد بن حارثة على تجارتهم. ولكن عير قريش التي كان المسلمون يهدفون إلى الاستيلاء عليها قبل بدر مباشرة قد نجت.. فأجمعت قريش أمرها على أن تباع هذه العير وتعزل أرباحها لتجهيز جيش جرار في عدده وعدته لمحاربة محمد والثأر منه وقد أصرت نساء قريش على الخروج مع الغزاة فتشاور القوم واختلفوا فمن قائل بخروجهن وحجته (انه أقمن أن يحفظكم ويذكركم قتلى بدر ونحن قوم مستميتون لا نريد أن نرجع إلى دار ناحتي ندرك ثأرنا أو نموت دونه) ومن قائل بعدم خروجهن وحجته (يا معشر قريش هذا ليس برأي أن تعرضوا حرمكم لعدوكم ولا آمن أن تكون الدائرة عليكم فتفضحوا في نسائكم) واتفقت قريش في النهاية على خروج النساء مع دعوة بقية القبائل المحيطة بها لمحاربة المسلمين وبالفعل جهزت قريش جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل من مكة ومائة من ثقيف ومائتان من فارس وخرج هذا الجيش الجرار في ثلاثة ألوية.

وكان العباس بن عبد المطلب عم النبي رغم حرصه على دين أبائه في ذلك الوقت إلا انه كان عينا للرسول على المشركين وكان

احد أهم مصادر المعلومات للنبي فلما رأى العباس جموع قريش قد تأهبت لحرب النبي كتب رسالة يصف فيها صنيعهم وجمعهم وعدتهم وعديدهم ودفع بها إلى رجل غفاري أستأجره ليسر بهذه الرسالة إلى النبي واشترط عليه أن يبلغ المدينة في ثلاثة أيام فيعطي الرسالة للرسول عليه السلام وسار جيش قريش حتى بلغ (الأبواء) ثم العقيق) ثم نزل عند السفوح من جبل احد على بعد خمسة أميال من المدينة.

ووصل الرجل الغفاري بكتاب العباس إلى رسول ولأن الرسول لا يقرأ فقد جعل أبي بن كعب يقرأ الرسالة واستكتمه النبي على ما فيها ثم قصد إلى دار سعد بن الربيع فقص عليه ما بعث به العباس واستكتمه أيضا إياه إلا أن زوج سعد قد سمعت ما دار فلم يبق الأمر سرا.

ولكي يحصل الرسول على اكبر قدر من المعلومات أرسل (أنسا ومؤنسا ابني فضاله) يتنطسا خبر قريش فعادا وأخبرا النبي بأن قريش على مشارف المدينة وقد أطلقت خيلها وإبلها ترعي زروع يثرب المحيطة بها.

وبعث الرسول مرة أخرى (الحباب بن المنذر بن الجموح) ليعلم آخر أخبار جيش قريش فعاد الحباب ليؤكد كلام العباس وأنس ومؤنس

ثم خرج سلمه بن سلامة يتصيد الأخبار فإذا طليعة خيل قريش تقترب من المدينة وتكاد تدخلها وعاد فأخبر أهل المدينة بما رأى فخشي الأوس والخزرج وأهل المدينة جميعا عاقبه هذه الغزوة التي أعدت لها قريش خير ما أعدت في كل تاريخ حروبها وأصدر الرسول عليه السلام عدة أوامر سريعة فبات المسلمون في المسجد وعليهم السلاح خوفا على النبي وتولى جيش المسلمين حراسة المدينة طوال الليل وفي الصباح جمع الرسول أهل الرأي للتشاور وعرض عليهم أن يتحصنوا بالمدينة وأن يدعوا قريشا خارجها ورأى عبد ا بن أبي بن سلول رأي النبي وقال (لقد كنا يا رسول ا نقاتل فيها ونجعل النساء والأطفال في هذا الصياحي ونجعل معهم الحجارة ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية فإذا أقبل العدو رمته النسوة والأطفال بالحجارة وقاتلناه بأسيافنا في السكك. إن مدينتا يا رسول ا عذراء ما فضت علينا قط وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه وما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا فدعهم يا رسول ا وأطعني في هذا الأمر فأني ورثت هذا الرأي عن أكابر قومي وأهل الرأي منهم).

وقال قائل آخر (إني لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون حصرنا محمدا في صياحي يثرب وأطامها فتكون هذه مجرئه لقريش

وها هم هؤلاء قد وطئوا سعفنا فإذا لم نذب عن عرضنا لم يزرع وإن قريشا قد مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب من بواديها ومن تبعها من أحابيشها حتى جاؤنا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل حتى نزلوا ساحتنا أفيحبسوننا في بيوتنا وصياحينا ثم يرجعون وافرين لم يكلموا لئن فعلنا لاذ دادوا جرأة ولشنوا الغارات علينا وأصابوا من أطرافنا ووضعوا العيون والأرصاد على مدينتنا ثم لقطعوا الطريق علينا) وتتابع القائلون بالخروج قائلين بالنصر، والشجاعة أو الشهادة.

فقال لهم الرسول إني أخاف عليكم الهزيمة. فأبوا مع ذلك إلا الخروج فلم يكن إلا أن ينزل النبي على رأيهم. وكان اليوم يوم جمعة فصلى الرسول بالناس وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا. ودخل إلى بيته ومعه أبو بكر وعمر فألبساه درعه وعمماه وتقلد سيفه. والناس أثناء ذلك يتحاورون فقال أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وكان ممن أشار بالتحصن بالمدينة للذين رأوا الخروج وهو له كاره فردوا الأمر إليه فما أمركم به فأفعلوه وما رأيتم له فيه هوى أو رأيا فأطيعوه).

فحسب الداعون للخروج أنهم خالفوا الرسول إلى شيء قد يكون فيه أية فلما خرج النبي إليهم لابسا درعه متقلدا سيفه أقبلوا عليه وقالوا (ما كان لنا يا رسول ا أن نخالفك فأصنع ما بدالك وما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى ا ثم إليك).

فقال لهم الرسول (قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم وما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم ا بينه وبين أعدائه. انظروا ما آمركم به فابقوه والنصر لكم ما صبرتم) وتقدم الرسول بجيش المسلمين إلى احد حتى نزل بمنطقة الشيخين (موقع كان به في الجاهلية شيخ أعمى وعجوز عمياء فسمي الشيخين لذلك) وهناك بصر النبي يكتيبة لا يعرف أهلها فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء ابن أبي من اليهود فقال عليه السلام لانستنصر بأهل شرك ما لم يسلموا. فانصرف اليهود عائدين إلى المدينة وعند الصبح انسحب ابن أبي مع كتيبة من أصحابه وبقى النبي ومعه المؤمنون حقا وهم سبعمائة مقاتل ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشي. وسار جيش المسلمين حتى بلغ جبل احد فأجتاز مسالكه وجعلوه إلى ظهورهم وجعل الرسول يصف أصحابه ويضع خطة الحرب التي كانت تعتمد على وجود خمسين من الرماة على شعب الجبل قال لهم الرسول (احموا لنا ظهورنا فإنا نخاف أن يجيئونا من ورائنا وألزموا مكانكم لا تبرحوا منه وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل معسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل) ثم نهى الرسول غير الرماة أن يقاتل احد منهم حتى يأمر هو بالقتال.

وكان أول من أنشب الحرب بين الفريقين أبو عامر عبد عمرو بن صيفي الأوسي وكان قد انتقل من المدينة إلى مكة يحرض قريشا على قتال النبي ولم يكن قد شهد بدرا فخرج إلى احد في خمسة عشر رجلا من الأوس ومعه عبيد أهل مكة.. وكان أبو عامر هذا يزعم انه إذا نادى أهله المسلمين من الأوس والذين يحاربون في صف محمد استجابوا له وأنحازوا معه ونصروا قريشا. فخرج فنادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر فأجابه الأوس المسلمين لا انعم ا بك عينا يا فاسق ثم نشب القتال بين الفريقين. وحقق المسلمون في بداية المعركة نصرا يعد من المعجزات العسكرية في الحروب القديمة وبدأ جيش قريش يفر مذعورا وبدا المسلمون في جمع (الغنائم). وهنا خالف الرماة أمر رسول ا ولم يصبروا كما أمرهم بل تركوا أماكنهم ونزلوا ليأخذوا حظهم من الغنائم فاستغل خالد بن الوليد الفرصة بعقليته الحربية الفزة وعاود الهجوم على جيش المسلمين فحدث هرج كبير بين صفوف المسلمين وانتصرت قريش في الجولة الثانية من احد وأصيب رسول ا ولكن الرسول استطاع أن يقود جيشه بحكمة وحنكة حتى يخرج من المآزق وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن فقدوا سبعين شهيدا وحزن الرسول عليهم حزنا عظيما وخاصة عمه

حمزة بن عبد المطلب أسد الإسلام الذي قامت هند بنت عتبة بالتمثيل بجثته.

ولما كان الغد من يوم احد (١٦ شوال) أذن مؤذن النبي في المسلمين وطلب الرسول رجاله أن يسرعوا في طلب قريش واستنفر جيشه لمطاردة المشركين واشترط ألا يخرج معه إلا من حضر غزوة احد وخرج المسلمون يطلبون ثأرهم فوقع في روع أبي سفيان زعيم قريش أن جيش محمد قد جاء من المدينة بمدد جديد فخاف اللقاء وبلغ جيش المسلمين (حمراء الأسد) على بعد مسافة ثمانية أميال من المدينة وكان أبو سفيان وجيشه في الروحاء فمر به (معبد الخزاعي) وكان قد مر على جيش محمد فسأله أبو سفيان عن شأن المسلمين فأجابه معبد (وكان لا يزال على الشرك) إن محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط. وقد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقا ومنكم للثأر طلبا).

وفكر أبو سفيان في أن فراره بعد النصر سيضعف هذا النصر كثيرا وخشي إن عاد أن يهزمه المسلمون فلجأ إلى الحيلة والخداع فبعث مع ركب من عبد القيس يقصدون المدينة أن يبلغوا محمد أن أبا سفيان قد اجمع السير إليه وإلى أصحابه ليستأصل بقيتهم ولكن ذلك لم يفتر عزم النبي ولم تهن وتهن وظل في مكانه يوقد النار طيلة الليل

ثلاثة أيام متوالية ليدل قريشا على انه على عزمه وانه منتظر رجعتهم. وأخيرا تزعزت همة قريش وأبي سفيان وآثروا أن يبقوا على نصرهم الذي تحقق في احد.. وعادوا إدراجهم منسحبين إلى مكة. ورجع الرسول إلى المدينة وقد استرد كثيرا من مكانة المسلمين التي تزعزت كثيرا إثر احد.

الفصل الخامس عشر

استرداد الكرامة.. في
غزوات وسرايا ما قبل الخندق..!

استرداد الكرامة

في غزوات وسرايا ما قبل الخندق..!

بعد ما حدث للمسلمين في غزوة احد شعر النبي عليه السلام بدقة الموقف وحرج المركز ليس في المدينة وحدها بل عند سائر قبائل العرب. فبعد أن كانت هيبة المسلمين قد سكنت في قلوب كل القبائل. جاءت احد لترد إليهم من السكينة ما سمح لها أن تفكر في معارضة الرسول ومنا وأته ولذلك فقد حرص عليه السلام على أن يعرف من أخبار أهل المدينة ومن أخبار العرب جميعا ما يمكنه من استعادة مكانة المسلمين وسطوتهم وهيبتهم في النفوس فبث العيون وأطلق رجال مخابراته يأتون إليه بالأخبار والمعلومات من كل صوب وحدب.

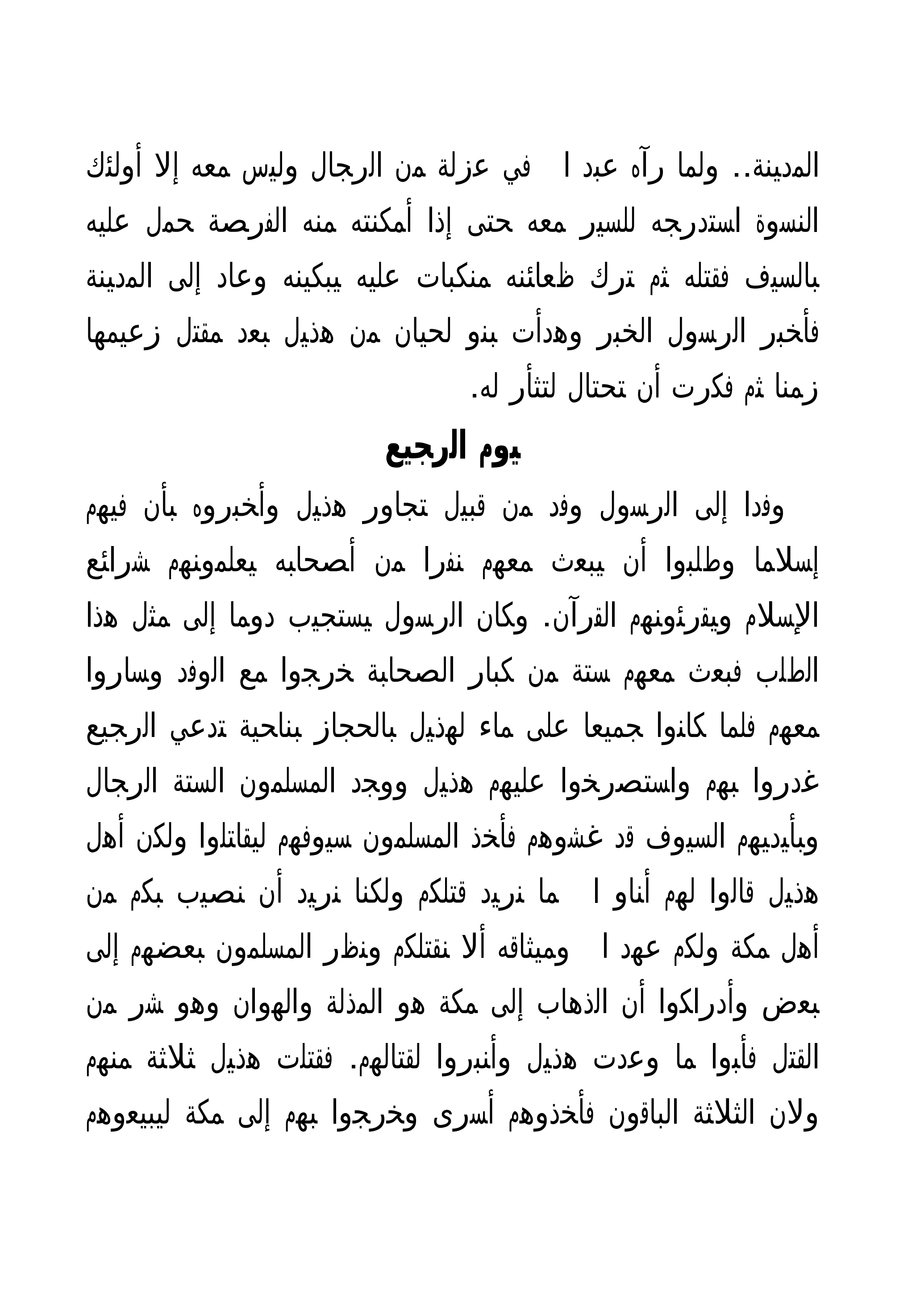
سرية أبي سلمة بن عبد الأسد

جاءت الأخبار إلى الرسول عليه السلام من عيونه المبثوثة تؤكد بأن صليحه وسلمة ابني خويلد وكانا على رأس بني أسد يحرضان قومهما ومن أطاعهما يريدان مهاجمة المدينة والسير إلى محمد في عقر داره ليصيبوا من أطراف يثرب وليغنموا من نعم المسلمين التي ترعى الزروع وقد شجع بني أسد على ذلك اعتقادهم بأن الرسول وأصحابه ما زالوا مضعضعين من اثر احد. فلما تيقن الرسول من

هذه الأخبار دعا إليه ابا سلمه بن عبد الأسد وعقد له لواء سرية تبلغ عدتها مائة وخمسين رجلا منهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وأسيد بن حضير وأمرهم الرسول بالسير ليلا والاستخفاء نهارا وسلوك طريق غير مطروق حتى لا يطلع احد على خبرهم فيفجئوا العدو بالإغارة عليه على غرة منه ونفذ أبو سلمة أمر الرسول حتى فاجأ القوم ولم يستعدوا لقتال فأحاط بهم في عملية الصبح عند قطن (اسم ماء لبني أسد بنجد) وحصن رجاله وحرضهم على الجهاد فلم يستطع المشركون أن يثبتوا لهم فوجه لواءين في طلبهم وطلب الغنيمة وأقام هو ومن معه حتى عاد المطاردون بما غنموا إلى المدينة ظافرين بعد غيبة عشرة أيام وقد أعادوا بنصرهم إلى النفوس من هيبة المسلمين شيئا مما ضيعت احد.

سرية عبد ا بن أنيس

علم الرسول عليه السلام من عيونه المبثوثة أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع الناس ليغزو المدينة فدعا الرسول عبد ا بن أنيس وأمره أن يذهب ليتجسس حتى يقف على جلية الأمر. وسار عبد ا حتى لقي خالد وهو في ظعن يرتاد لهن منزلا فلما انتهى إليه سأله خالد.. من الرجل؟ فأجابه عبد ا أنا رجل من العرب سمع بك وبجمعك لمحمد فجاءك لذاك. فلم يخف خالج انه يجمع الجمع ليغزو



المدينة.. ولما رآه عبد ا   في عزلة من الرجال وليس معه إلا أولئك النسوة استدرجه للسير معه حتى إذا أمكنته منه الفرصة حمل عليه بالسيف فقتله ثم ترك ظعائنه منكبات عليه يبكينه وعاد إلى المدينة فأخبر الرسول الخبر وهدأت بنو لحيان من هذيل بعد مقتل زعيمها زمنا ثم فكرت أن تحتال لتثأر له.

يوم الرجيع

وفدا إلى الرسول وفد من قبيل تجاور هذيل وأخبروه بأن فيهم إسلاما وطلبوا أن يبعث معهم نفرا من أصحابه يعلمونهم شرائع الإسلام ويقرئونهم القرآن. وكان الرسول يستجيب دوما إلى مثل هذا الطلب فبعث معهم ستة من كبار الصحابة خرجوا مع الوفد وساروا معهم فلما كانوا جميعا على ماء لهذيل بالحجاز بناحية تدعي الرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيل ووجد المسلمون الستة الرجال وبأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذ المسلمون سيوفهم ليقاتلوا ولكن أهل هذيل قالوا لهم أناو ا   ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة ولكم عهد ا   وميثاقه ألا نقتلكم ونظر المسلمون بعضهم إلى بعض وأدراكوا أن الذهاب إلى مكة هو المذلة والهوان وهو شر من القتل فأبوا ما وعدت هذيل وأنبروا لقتالهم. فقتات هذيل ثلاثة منهم ولان الثلاثة الباقون فأخذوهم أسرى وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم

فيها وفي الطريق قتلوا احد الثلاثة المسلمين وفي مكة باعوا زيد بن الذئنة لصفوان بن أمية حيث اشتراه ليقتله بأبيه أميه بن خلاف أما الآخر وهو خبيب فقد حبسوه ثم صلبوه.. وهكذا راح المسلمون ضحية الغدر.

يوم بئر معونة..

قدم عامر بن مالك إلى المدينة فعرض عليه الرسول أن يسلم فلم يقبل ولكنه لم يظهر عداوة للإسلام وقال للنبي يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فخاف الرسول على أصحابه أهل نجد وخشي أن يغدروا بهم كما غدرت هذيل بخبيب وأصحابه فلم يجب طلب أبي براء حتى قال أنا جار لهم فأبعثهم فليدعوا إلى أمرك وكان أبو براء رجلا مسموع الكلمة في قومه لا يخاف من أجارة عادية احد عليه. وبعث الرسول المنذر بن عمر اخابني ساعدة في أربعين من خيار المسلمين فساروا حتى بلغوا بئر معونه بين ارض بني عامر وحرة بني سليم ومنا بعثوا حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول ا فلم ينظر عامر في الكتاب بل قتل الرجل واستصرخ بني عامر كي يقتلوا المسلمين فأبوا أن يخفروا ذمه أبي براء وجواره فأستصرخ عامر قبائل أخرى أجابته وخرجت معه حتى أحاطوا بالمسلمين في رحالهم

فلما رآهم المسلمون أخذوا سيوفهم وقاتلوا قتالا عنيفا حتى قتلوا عن آخرهم ولم ينج منهم إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية. وهكذا عادت هيبة المسلمين إلى الاهتزاز في أعين القبائل الأخرى.

يهود بني النضير..

اهتزت هيبة المسلمين في أعين يهود المدينة (بني النضير) ومعهم المنافقين ورأى الرسول أن اليهود والمنافقين يتربصون به الدوائر فقرر أن يستدرجهم ليكشف خباياهم ولما كان اليهود من بني النضير حلفاء لبني عامر فقد ذهب الرسول إلى محل إقامتهم على مقربة من قباء في عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمرو على وطلب إليهم المعاونة في دية القتيلين اللذين قتلهما عمر بن اميه خطأ ودون أن يعلم أن الرسول أجارهما ولما ذكر الرسول ذلك لليهود اظهروا الغبطة وحسن الاستعداد لإجابته. ولكن النبي لاحظ حركة غريبة في المكان واشتم رائحة مؤامرة فقد بدأ اليهود يتهامسون وينتحي بعضهم إلى ناحية ويبدو عليهم كأنهم يذكرون مقتل كعب بن الأشرف. وأخذ اليهود قراراهم بقتل الرسول وقالوا فيما بينهم من يعلو هذا البيت فيلقي على محمد هذه الصخرة وتطوع منهم (عمرو بن جحاس بن كعب) ودخل البيت الذي كان الرسول مستندا إلى جداره فتيقن الرسول من مؤامرة اليهود فأنسحب من مكانه تاركا

أصحابه وراءه يظنون انه قام لبعض أمرة – أما اليهود فقد اختلط عليهم الأمر أيغدرون بأصحاب محمد أم يتركونهم فربما لم يفتضح إئتمارهم بالرسول. وأستبطأ الصحابة النبي فقاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة عرفوا منه أن الرسول قد دخلها وانه قصد توا إلى المسجد فذهبوا إليه فذكر لهم ما رابه من أمر اليهود ومن اعتزامهم الغدر به فتنبه الصحابة إلى ما رأوه وأمنوا بنفاذ بصيرة الرسول وما أوحي إليه.. وبعث النبي يطلب محمد بن سلمة وقال له اذهب إلى يهود بني النضير وقل لهم إن رسول ا أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلادي لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي، لقد أجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه) فقال اليهود لابن سلمة يا محمد ما كنا نرى أن يأتي بهذا رجل من الأوس (وذلك إشارة إلى تحالف اليهود مع الأوس من قبل في حرب الخزرج) فكان كل ما أجاب به ابن سلمه (القلوب تغيرت).

ومكث اليهود على ذلك أياما يتجهزون وأنهم لكذلك إذ جاءهم رسولان من عند عبد ا بن أبي يقولان لا تخرجوا من دياركم وأموالكم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم). وتشاور اليهود في ذلك ثم قال كبيرهم حيي بن اخطب اني

مرسل إلى محمد إنا لا نخرج من ديارنا وأموالنا فليصنع ما بدا له وما علينا إلا أن نلازم حصوننا ندخل إليها ما شئنا وندرب ازقتنا وننقل الحجارة إليها وعندنا من الطعام ما يكفينا سنة وماؤنا لا ينقطع ولن يحاصرنا محمد سنة كاملة. وانقضت مهلة الأيام العشر ولم يخرج اليهود من ديارهم فأخذ المسلمون السلاح وساروا إليهم فقاتلوهم عشرين ليلة وكلما تقدم المسلمون تأخر اليهود من دار إلى دار وقبل أن يتركوا الدار يخربونها فأمر الرسول أصحابه أن يقطعوا نخل اليهود وهو نخل كثير موجود في مكان يعرف بالبويرة تصغير بورة وهو الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب. وهدف الرسول من تقطيع النخل ألا تبقي اليهود في شدة تعلقها بأموالها تتحمس للقتال وتقدم عليه. وجزع اليهود ونادوا يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها. فكف الرسول عن ذلك ولكن نزل قول ا تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن ا وليخذي الفاسقين) الحشر.

وعبثا انتظر اليهود نصرة ابن أبي أو أحدا من العرب ولما ملأ اليأس قلوبهم رعبا سألوا الرسول أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم حتى يخرجوا من المدينة فصالحهم على أن يخرجوا منها ولكل ثلاثة

منهم بعير يحملون عليه ما شاؤا من مال أو طعام أو شراب ليس لهم غيره. فخرج بنو النضير فمنهم من نزل خيبر ومنهم من ذهب إلى اذرعات بالشام وتركوا وراءهم مغانم كثيرة للمسلمين ولكنهم دمروا بيوتهم قبل خروجهم حتى لا يسكنها المسلمون وفي قصة بني النضير وحفاءهم من المنافقين نزلت آيات ا تعالى في سورة الحشر تقول (الم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم وا يشهد انهم لكذبون).

﴿ **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم الأدبار ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون. لأنتم اشد رهبة في صدورهم من ا ذلك بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ الحشرة ١١ – ١٣.

كاتب السر

كان الرسول عليه السلام يستخدم رجلا من اليهود ليكتب له رسائله بالعبرية والسريانية فلما حدث من غدر اليهود ثم جلاؤهم عن المدينة خشي النبي أن يستعمل على أسراره يهوديا. فأمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغتين السريانية والعبرية فتعلمهما وأصبح كاتب سر النبي في كل شؤنه.

غزوة بدر الأخرى

كان أبو سفيان قد واعد المسلمين بعد انتهاء غزوة احد قائلا (يوما بيوم بدر والموعد العام المقبل) وكان هذا العام عام جدب فود أبو سفيان لو يؤجل اللقاء عاما آخر فعمد إلى الحيلة والخداع ليدرأ بهما عن نفسه تهمة خلاف الموعد فأستأجر نعيم بن مسعود الأشجعي وأرسله إلى المدينة برسالة كاذبة تقول إن أبا سفيان قد جمع جيشا لا مثيل لجيش من العرب بمواجهته ليحارب المسلمين ويقضي عليهم) ورأى المسلمون أن يتجنبوا الخطر فأظهر كثيرون الرغبة في عدم النهوض والسير لبدر فغضب الرسول وقال (والذي نفسي بيده لو لم يخرج معي احد لخرجت وحدي) ولم يبق بعد هذه الغضبة أي اثر للتردد أو الخوف وخرج المسلمون إلى بدر بقيادة النبي في جيش عدته ألف وخمسمائة رجل فوصولا بدار وانتظروا قدوم قريش ثمانية أيام.

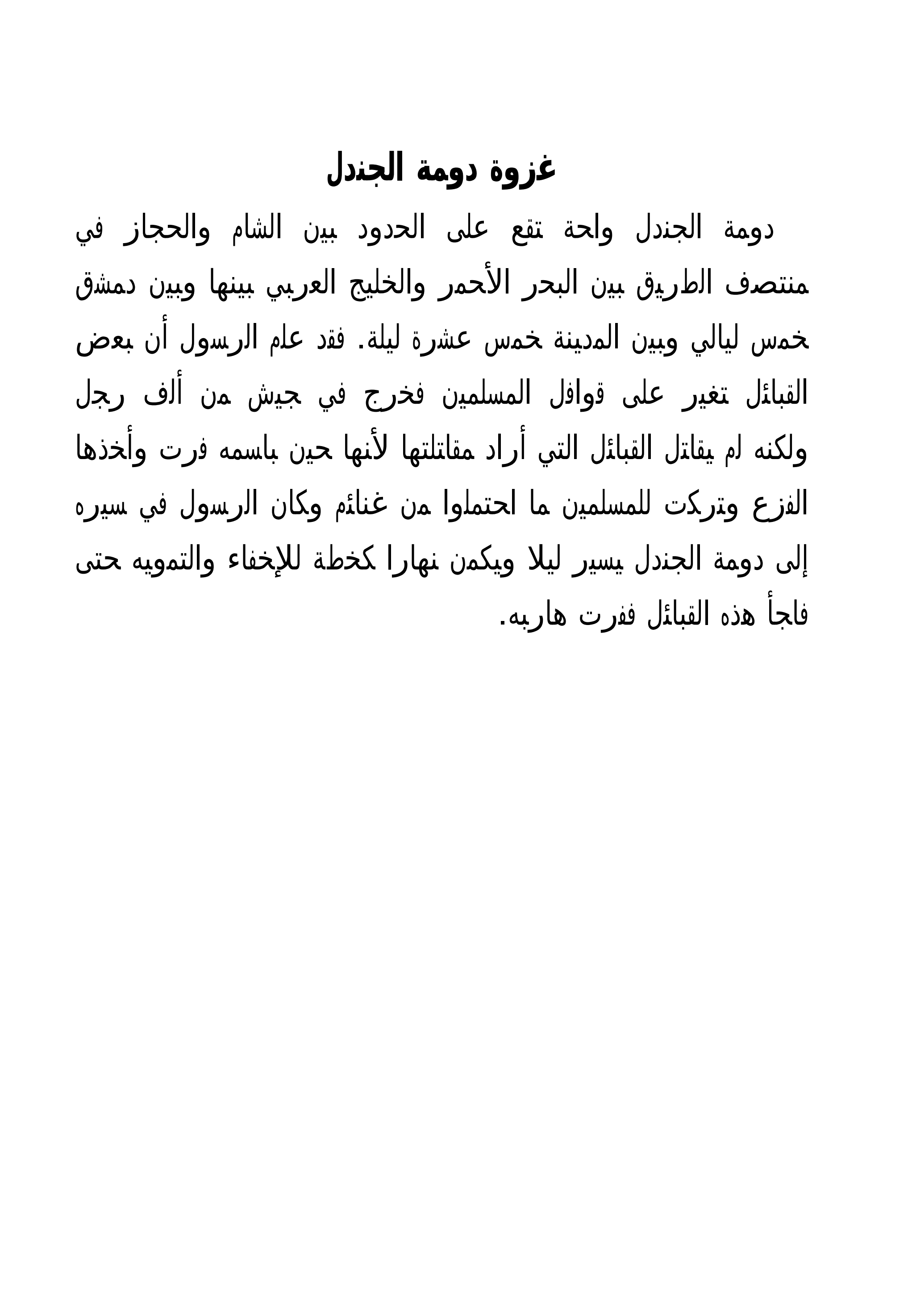
وكان أبو سفيان قد خرج في جيش من ألفي رجل ولكنه بعد مسيرة يومين نادي في الناس يا معشر قريش انه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فأرجعوا).. ونزل في ذلك قول ا تعالى من سورة آل عمران (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم إيمانا

وقالوا حسبنا ا   ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من ا   وفضل لم يمسسهم سوء وأتبعوا رضوان ا   وا   ذو فضل عظيم) آل عمران ١٧٣، ١٧٤.

وهكذا فقد محت غزوة بدر الأخرى كل اثر لأحد محوا تاما ولم يبقى لقريش إلا أن تنتظر عاما آخر رازحة تحت عار من جنبها لا يقل وطأة عن عار هزيمتها في بدر الأولى.

غزوة ذات الرقاع

هناك خلال حول سبب تسمية الغزوة بذات الرقاع فمن قائل لأنهم أرقعوا راياتهم فيها ومن قائل أنها ترجع لشجرة اسمها ذات الرقاع كان يعبدها العرب ولكن الطبري يقول بأنها سميت باسم جبل به سواد وبياض وحمرة وهي من منازل لبني ثعلبه على بعد مرحلتين من المدينة وقد جاءت الأخبار إلى الرسول من عيونه المبثوثة أن جماعة من غطفان وهم بنو محارب بن حفصه بن قيس وبنو ثعلبه بن سعد بن غطفان قد جمعوا جمعوا لمحاربة المسلمين. فخرج الرسول جيش من أربعمائة مقاتل حتى وصل ذات الرقاع فلم علم بأمر بنو محارب وبنو ثعلبه ورأوه قد طلع عليهم في عدة الحرب ومهاجما مساكنهم فروا تاركين وراءهم نساءهم ومتاعهم فاحتمل المسلمون ما استطاعوا من الغنائم وعادوا منصورين بلا حرب.



غزوة دومة الجندل

دومة الجندل واحة تقع على الحدود بين الشام والحجاز في منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي بينها وبين دمشق خمس ليالي وبين المدينة خمس عشرة ليلة. فقد علم الرسول أن بعض القبائل تغير على قوافل المسلمين فخرج في جيش من ألف رجل ولكنه لم يقاتل القبائل التي أراد مقاتلتها لأنها حين باسمه فرت وأخذها الفزع وتركت للمسلمين ما احتملوا من غنائم وكان الرسول في سيره إلى دومة الجندل يسير ليلا ويكمن نهارا كخطة للإخفاء والتمويه حتى فاجأ هذه القبائل ففرت هاربه.

الفصل السادس عشر

غزوة الخندق.. انتصار الحيلة والابتكار..!

غزوة الخندق..

انتصار الحيلة والابتكار..

بعد أن طرد رسول ا   عليه السلام يهود بني النضير من المدينة. تآمروا فيما بينهم على أن ينتقموا من النبي انتقاما كبيرا فخرج وفد منهم بقيادة حيي بن أحطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الحقيق وساروا إلى قريش بدايهو واتفقوا معها على حرب محمد ثم ساروا إلى كل من له ثأر عند الرسول وأخيرا اجتمعت الأحزاب التي دعتها اليهود لمحاربة المسلمين فخرجت قريش في أربعة آلاف مقاتل بقيادة أبو سفيان بن حرب وخرج بنو سليم في سبعمائة مقاتل بقيادة عينيه بن حصن بن حذيفة وخرجت مرة في أربعمائة محارب وسارت الأحزاب في عشرة آلاف محارب تحت قيادة أبو سفيان قاصدين المدينة فلما بلغوها تداول زعماء هذه القبائل الزعامة كل يوم على التوالي.

وعندما علم الرسول نبأ هذه الأحزاب من عيونه المبثوثة في مكة وعلى الطرق فزع المسلمون فكيف يواجهون هذه الجموع الغفيرة وراح الرسول يفكر بعقلية القائد المحارب الشجاع وبحث الموقف وتشاور مع أصحابه فقدم إليه سلمان الفارس رأيا وجده سليما وجديدا فأقره وأمر الرسول بتنفيذه فورا وهو إقامة خندق حول المدينة. فلم

يكن للعرب علم بالخنادق ولكنه كان من مكايد الفرس. وبدأ على الفور حفر الخندق واشترك في ذلك كل المسلمين وفي مقدمتهم الرسول الذي كان يرفع التراب ويشجع المسلمين بذلك أعظم التشجيع. وتم حفر الخندق في ستة أيام فقط. وفي هذه الأثناء حصنت جدران المنازل التي تواجه مآتى العدو والتي بينها وبين الخندق نحو فرسخين ثم أخليت المساكن التي ظلت فيما وراء الخندق وجيء بالنساء والأطفال إلى هذه المنازل التي حصنت. ووضعت الأحجار إلى جانب الخندق من ناحية المدينة لتكون سلاحا يرمي به عند الحاجة إليه. وبلغت قوة المسلمين ثلاثة آلاف محارب.

توقعت قريش وحلفاؤها لقاء المسلمين في احد فلما لم يجدوهم تقدموا إلى المدينة حتى فاجأهم الخندق فقالوا (وا إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيد بها) وزعموا أن التحصن خلف الخندق من الجبن. وعسكرت بعض الأحزاب بمجتمع الأسيال من رومه وعسكر البعض الآخر بذنب نقمي.

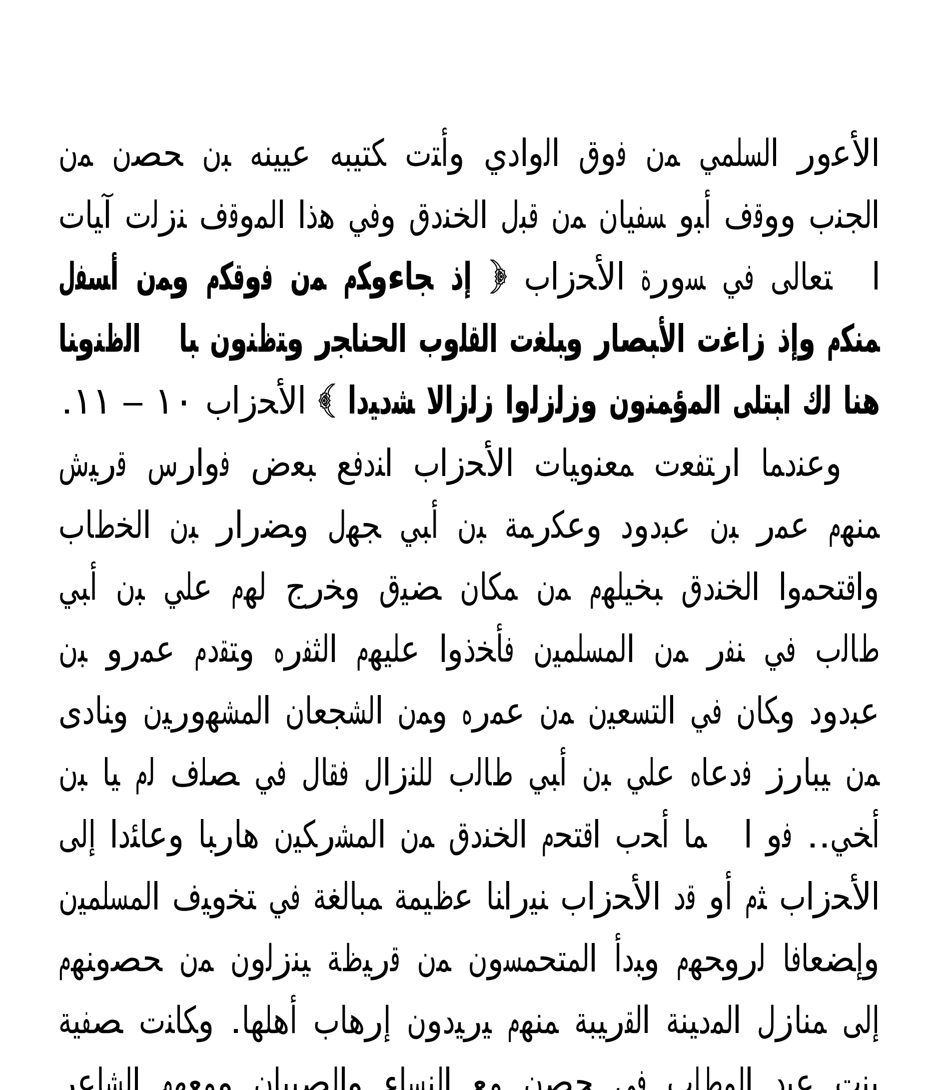
أما الرسول ومن معه فقد جعلوا ظهورهم إلى هضبة شلع وجعلوا الخندق بينهم وبين أعدائهم. ورأى الأحزاب انه لا سبيل إلى اجتياز الخندق فاكتفوا بتبادل النبال عدة أيام متتابعة. ثم دب الوهن في صفوف الأحزاب حيث كان الوقت وقت برد قارص واحتمال المطر

وارد في أي وقت. وبدأ بعض الأحزاب يفكر في التراجع. ولكن اليهود خافوا أن تضيع فرصتهم في الانتقام من الرسول فقرر حيي بن احطب كبير خيبر أن يغامر بآخر سهامه فأخبر قادة الأحزاب انه يستطيع إقناع يهود بني قريظة نقض العهد مع محمد والمسلمين حيث كانت بنو قريظة تمد المسلمين بالمداد والميرة. وإذا انقطع هذا المدد ضعف المسلمون وسهل دخول المدينة. وسارع حيي فذهب إلى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة فأغلق كعب دونه باب حصنه. ولكن حيي ما زال به حتى فتح له ثم قال له (ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها وقد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه) فتردد كعب وذكر وفاء محمد وصدقه لعهده ولكن حيي ما زال به يذكر له ما أصاب اليهود من محمد وما يوشك أن يصيبهم منه إذا لم تنجح الأحزاب في القضاء عليه. حتى لان كعب له وسأله وماذا يكون إذا ارتدت الأحزاب؟ فأعطاه حيي موثقا إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن يدخل معه في حصنه فيشركه في حظه) وتحركت في نفس كعب يهوديته فقبل عرض حيي ونقض عهده مع الرسول وخرج عن حياده.

وعلم الرسول نبأ انضمام قريظة إلى الأحزاب. فخاف المسلمون مغبة ذلك.

وبعث الرسول سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما عبد ا بن رواحه وخوات بن جبير ليقفوا على جلية الأمر على أن يلحنوا به (الإشارة والتعريض) عند عودتهم أن كان حقا حتى لا يفتوا في عضد الناس فلما أتى هؤلاء الرسل وجدوا قريظة على أخبث ما بلغهم عنهم. فلما حاولوا ردهم إلى عهدهم. طاب كعب إليهم أن يردوا إخوانهم يهود بني نضير إلى ديارهم وأراد سعد بن معاذ وكان حليف قريظة أن يقنعها مخافة أن يحل بها ما حل ببني النضير أو ما هو أسوأ منه فانطلقت اليهود تسب الرسول وقال كعب من رسول ا ..؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. وعاد رسل النبي إليه بما رأوا فعظم البلاء واشتد الخوف وقطعت قريظة المدد والميرة عن المسلمين وخشي الرسول أن تدخل الأحزاب المدينة عن طريق قريظة.

وعلى الجانب الآخر ارتفعت معنويات الأحزاب بانضمام قريظة إليهم.. وقد استمهلت قريظة الأحزاب عشرة أيام تعد فيها عدتها على أن تقاتل الأحزاب المسلمين في هذه الأيام العشرة اشد القتال.. وهذا ما فعلوه حيث ألقوا ثلاث كتائب لمحاربة الرسول فأتت كتيبة ابن



الأعور السلمي من فوق الوادي وأتت كتيبه عيينه بن حصن من الجنب ووقف أبو سفيان من قبل الخندق وفي هذا الموقف نزلت آيات ا تعالى في سورة الأحزاب ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون با الظنونا هنا لك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** ﴾ الأحزاب ١٠ – ١١.

وعندما ارتفعت معنويات الأحزاب اندفع بعض فوارس قريش منهم عمر بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب واقتحموا الخندق بخيلهم من مكان ضيق وخرج لهم علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثفره وتقدم عمرو بن عبدود وكان في التسعين من عمره ومن الشجعان المشهورين ونادى من يبارز فدعاه علي بن أبي طالب للنزال فقال في صلف لم يا بن أخي.. فو ا ما أحب اقتحم الخندق من المشركين هاربا وعائدا إلى الأحزاب ثم أو قد الأحزاب نيرانا عظيمة مبالغة في تخويف المسلمين وإضعافا لروحهم وبدأ المتحمسون من قريظة ينزلون من حصونهم إلى منازل المدينة القريبة منهم يريدون إرهاب أهلها. وكانت صفية بنت عبد المطلب في حصن مع النساء والصبيان ومعهم الشاعر حسان بن ثابت فمر يهودي يطوف بالحصن فطلبت صفية من حسان أن يقتله خشية أن يدل اليهود على عورتهم فقال حسان يغفر ا لك يا

ابنة عبد المطلب. وا لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.. فأخذت صفية عمودا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودي حتى قتلته.

واشتدت الأزمة وفكر الرسول في حيلة يفك بها هذا الحصار فبعث إلى غطفان يعدها ثلث ثمار المدينة إن هي ارتحلت وكانت غطفان قد بدأت تمل من طول الحصار..

وفجأة وفي ذروة الأزمة قدم إلى الرسول نعيم بن مسعود يعلن إسلامه ويقول يا رسول ا إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت وهنا إلتمعت في ذهن الرسول حيلة عظيمة فقال لنعيم اكتم عليك إسلامك ثم أرسله لتنفيذ حيلته العظيمة. حيث كان نعيم صديقا لبني قريظة فبعثه الرسول إليهم فرحبوا به وقال لهم (إني جئتكم تخوفا عليكم لأشير عليكم برأيي. يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم) فقالوا (صدقت ولست عندنا بمتهم فقال نعيم (اكتموا عني) قالوا.. نفعل.. فقال (لقد رأيتم ما وقع لبني قيقاع ولبني النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم وأن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم. البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وأبناءكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه ونساؤهم بعيدة فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة (فرصة) أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادهم

والرجل ببلادكم ولا طاقة لكم به إن خلابكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه ويقاتلوه) فقال اليهود لقد أشرت بالرأي والنصح وإنا فاعلون).

ثم اتجه نعيم إلى قريش ليكمل بقية الحيلة حيث تحدث مع أبي سفيان ومن معه من أشراف قريش وقال لهم (قد عرفتم ودي لكم وانه قد بلغني أمر رأيت أن أبلغكموه نصحا لكم. إن يهود بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيك إياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارنا ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم محمد أن نعم. فإن بعث إليكم بنو يهود تلتمس منكم رهن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا واحذروا على أسراركم).

ثم ذهب نعيم أخيرا إلى غطفان وقال لهم إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم.

ونجح نعيم نجاحا باهرا في مهمته إذ أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة يقول لهم (إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأغدوا للقتال حتى نناجز محمدا) فقالوا له إن اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعد السبت. ومع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا) ولجأ أبو سفيان إلى غطفان فإذا بها هي الأخرى تتردد في الإقدام على قتال محمد متأثرة بما كان قد وعدها من منحها ثلث ثمار المدينة.

وفي ظل كل هذه المتغيرات أمر الرسول عليه السلام حذيفة بن اليمان أن يتسلل بين صفوف الأعداء ليعلم عنهم كل الأخبار ويصف حذيفة مهمته قائلا.. دعاني رسول ا فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون. لا تحدثن شيئا حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت في القوم (معسكر قريش) والريح وجنود ا تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر إمرؤ من جليسه؟ قال حذيفة فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان ثم ضربت بيدي على يدي الذي عن شمال فقلت من أنت؟ قال: عمرو بن العاص ويضيف حذيفة لقد فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فبدرتهم المسألة).

وكان الوقت شتاء شديد البرودة قارسا ذا عواصف رملية ورياح هو جاء كفأت قدور الأحزاب وطرحت أبنيتهم وقلعت بيوتهم وهدمت خيامهم وصارت الريح تلقي بالرجال وتطفئ النيران وتملأ عيونهم واشتدت الريح بصوت مثل الصواعق واظلمت من شدتها الدنيا وهطلت الأمطار غزيرة وقصف الرعد ولمع البرق فدخل الرعب إلى نفوس الأحزاب وخيل إليهم أن المسلمين قد انتهزوها فرصة ليعبروا إليهم وليوقعوا فيهم. فقام طليحة بن خويلد فنادى إن محمدا قد بدأكم بشر فالنجاة.. النجاة..

وقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم وا ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكرع (الخيل) والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم ما نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل.

وعلمت غطفان بما صار إليه حال قريش فاشتدوا راجعين إلى بلادهم وهكذا تفرق شمل الأحزاب ضد الرسول. وعندما ولد الصبح الجديد إذا بالمدينة خلاء وقد ارتحلت الأحزاب وانفك الحصار وعاد الأمن وهتف رسول ا (لا إله إلا ا وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده.. فلا شيء بعده..).

الفصل السابع عشر

وانكسرت شوكة اليهود..!

وانكسرت شوكة اليهود..!

بعد أن من ا على المسلمين بهذا النصر المؤزر على الأحزاب أمر الرسول عليه السلام بلالا أن ينادي في الناس (من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة) وكان ذلك صبيحة يوم الخندق واجتمع ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين وساروا إلى حصون بني قريظة وكان القوم على غوايتهم فقد نظروا إلى المسلمين ثم سبوا الرسول ونساءه سبا قبيحا ولما جاء الرسول لقيه علي بن أبي طالب وطلب منه ألا يدنو من حصون اليهود فسأله الرسول ولم؟ أظنك سمعت منهم لي آذى؟ فقال نعم.. قال الرسول لو رأوني لما قالوا من ذلك شيئا. وأمر الرسول بحصار الحصون وظل الحصار خمسا وعشرين ليلة.. وعرض عليهم زعيمهم كعب بن أسد ثلاثة حلول أما أن يؤمنوا بمحمد أو يقتلوا نساءهم وأولادهم ثم يخرجوا لقتال محمد أو النزول فورا إلى محمد وكان اليوم يوم سبت فرفض القوم كل الحلول ولما طال الحصار طلبوا من الرسول أن يرسل إليهم أبا لبابه بن عبد المنذر ليستشيروه في أمرهم وكان حليفهم وصديقهم. فأذن له النبي فذهب إليهم فسألوه (أترى أن ننزل على حكم محمد (فقال لهم نعم انه الذبح. واستسلم بنو قرظية فأمر الرسول فأوثقوا وتشفع لهم نفر من الأوس فطلب الرسول منهم أن يدعوا اليهود يختارون – احد

الأوس ليحكم بينهم. فاختاروا سعد بن معاذ سيد الأوس وقالوا له (يا أبا عمرو إن رسول ا قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد ا وميثاقه أن الحكم كما حكمت فقالوا.. نعم وقال الرسول أيضا.. نعم.. فقال سعد إني أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الزرازي والنساء. فقال الرسول لقد حكمت فيهم، بحكم ا . وخرج الرسول إلى سوق المدينة وجئ بهم وهم بين ثمانمائة أو تسعمائة وضرب أعناقهم..

غزوة بني لحيان

بعد ستة أشهر من القضاء على بني قريظة جاءت الأخبار إلى الرسول بوجود شيء من الحركة في ناحية مكة ففكر النبي أن ينتقم لخبيب بن عدي وأصحابه ممن قتلهم بنو لحيان عند ماء الرجيع منذ سنتين على أن الرسول لم يجهر بقصده خيفة أن يتخذ العدو الحيطة لنفسه فاظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فأخذ قواته ويمم بها شمالا فلما أطمأن إلى أن قريشا وجيرانها لم يبق منهم من يفطن لمقاصده انفتل راجعا إلى ناحية مكة وأخذ السير مسرعا حتى بلغ منازل بني لحيان في بقران لكن قومار أوه أول انحدار إلى الجنوب فعرف منهم بنو لحيان قصده إياهم فاعتصموا برؤس الجبال ومعهم متاعهم. وهكذا فقد فات النبي أن يصيبهم.

غزوة ذي قرد

ذو قرد اسم ماء وتسمي هذه الغزوة أيضا غزوة الغابة..

لم يكد الرسول يقيم في المدينة بعد عودته إليها من بني لحيان حتى أغار عيينه بن حصن على أطرافها وكان بظاهرها على مسيرة يوم من المدينة في مكان يسمى الغابة ابل ترعي يحرسها رجل وامرأته فقتل عيينه وأصحابه الرجل وساقوا الإبل واحتملوا المرأة وانصرفوا. لكن سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي كان قد غدا يريد الغابة متوحشا قوسه ونبله فلما مر على (ثنية الوداع) وأشرف على ناحية من (شلع) أبصر القوم قد اقتادوا الإبل واحتملوا المرأة فصاح واصباحاه وجعل يشتد في أثار القوم حتى إذا اقترب منهم رماهم بالنبل وهو يصيح. وبلغ الرسول صياح سلمه فصاح في أهل المدينة الفزع.. الفزع وانطلق الفرسان بقيادة المقداد بن عمر في اثر القوم وجهز الرسول قواته وسار على رأسهم يتبعهم حتى نزل بالجبل من ذي قرد وكان الفرسان قد أدركوا مؤخرة القوم فأنقذوا المرأة وبعض الإبل وأردوا مطاردة المعتدين ولكن الرسول ردهم لأن الأخبار قد جاءته من عيونه تؤكد بأن المعتدين قد احتموا بغطفان.

غزوة بني المصطلق

أقام الرسول بعد ذلك قرابة شهرين بالمدينة ثم كانت غزوة بني المصطلق بالمريسيع حيث جاءت الأخبار إلى الرسول من عيونه المبثوثة أن بني المصطلق وهم فرع من خزاعه وقد أزروا قريشا في غزوة احد يجمعون للمسلمين في حيهم على مقربة من مكة وأنهم يحرصون على الرسول يريدون قتله وعلى رأسهم قائدهم الحارث بن أبي ضرار وقد تأكد النبي من جمعهم عندما أخبره أحد البدو بذلك فأسرع في الخروج ليأخذهم على غرة.. ولقي الرسول في طريقه جاسوسا لبني المصطلق وحاول أن يعرف منه شيئا عن أحوالهم فرفض الرجل أن يتكلم. فأمر الرسول عمر بن الخطاب فضرب عنقه وسار الرسول إلى ماء يسمي (المريسع) ودارت الحرب وقتل من بني المصطلق عشرة رجال وأمام قوة المسلمين أعلن القوم استسلامهم وكانوا أكثر من سبعمائة فأخذوا أسرى هم ونساءهم ومتاعهم وكان ضمن الأسرى جويرية بنت الحارث فأعتقها النبي وتزوج بها وأدى هذا الزواج إلى إطلاق سراح الأسرى فلما علم بنو المصطلق بذلك جاءوا إلى الرسول وأعلنوا إسلامهم وصاروا قوة للإسلام بعد أن كانوا حربا عليه.

غارة على بني بكر

اجتمع لفيف من الخزرج وقرروا أن يقتلوا زعماء اليهود وكان أول من قتل منهم سلام بن أبي الحقيق وقتله عبد ا بن عتيك. ثم أرسل النبي سرية برياسة محمد بن سلمه في ثلاثين راكبا فشنوا غارة على بني بكر بن كلاب وكانوا بمكان على مسيرة سبع ليال من المدينة وكانوا يضارون ا ورسوله والمسلمين فهزمتهم السرية وقتلت منهم عشرة رجال.

سرية إلى بني أسد

علم الرسول أن بني أسد يمكرون بالمسلمين فبعث إليهم سرية بقيادة عكاشة بن محصن في أربعين راكبا فهرب بنو سليم من منازلهم وعاد عكاشة ومعه مائة من الإبل.

سرية إلى ذي القصة

علم الرسول من رجال مخابراته أن أعرابا بذي القصة (موقع قرب المدينة) يعتزمون الإغارة على المدينة فأرسل إليهم محمد بن سلمة في عشرة من المسلمين فاستشهدوا جميعا إذا أخذهم اعداؤهم على غرة. فأرسل الرسول أبا عبيدة على رأس جيش كبير ليقتص منهم فلما علموا بمقدمه هربوا إلى الجبال.

سرية إلى بني سليم

كانت قبيلة بني سليم تضير المسلمين في تجارتهم فأرسل إليها الرسول زيد بن حارثة فلما علموا بمقدمه هربوا ولكن زيد وجد امرأة منهم فأستجوبها وعلم منها مكانا يختبئ فيه بعض الأعداء فقبض على عشرة منهم وكان زوج المرأة أحدهم فعفا عنه الرسول إكراما لها.

سرية إلى بني كلاب

جهز الرسول جيشا كبيرا بقيادة عبد الرحمن بن عوف لغزو بني كلاب في دومة الجندل فأسلم القوم ودفع الجزية من لم يسلم.

غزوة يهود خيبر

بعد عودة الرسول من صلح الحديبية بخمسة عشر ليلة (وشهر في قول آخر) أمر الناس بالتجهيز لغزو يهود خيبر على ألا يغزو معه إلا من شهد الحديبية إلا أن يكون غازيا متطوعا ليس له من الغنيمة شيء وانطلق المسلمون في ألف وتسعمائة ومعهم مائة فارس وكلهم واثق بنصر ا وقطعوا مراحل الطريق ما بين المدينة وخيبر في ثلاثة أيام ولم تكد خيبر تحس في أثناءها حتى لقد بات المسلمون أمام حصونها وأصبح الصبح وخرج عمال خيبر خارجين إلى مزارعهم فلما رأوا جيش المسلمين ولوا الأدبار يتصايحون هذا محمد والجيش معه. وقال الرسول حين سمع قولهم (خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين). وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون فوق الصخور والجبال ومزارع وقد آزروا الأحزاب في غزوة الخندق وكانوا أشد اليهود عداوة للرسول ورغم مفاجأة النبي لهم ألا أنهم كانوا يتوقعون أن يغزوهم الرسول. ووقف المسلمون أمام حصون خيبر كاملي العدة. وتشاور اليهود فيما بينهم فأشار عليهم زعيمهم (سلام بين يشكم) أن يدخلوا أموالهم وعيالهم حصني (الوطيح والسلالم) وان يدخلوا ذخائرهم حصن (ناعم) وأن يدخل المقاتلون وأهل الحرب (حصن نطاة). فوقف الرسول بالجيش أمام حصن

النطاة فجاءه الحباب بن المنذر وقال (يا رسول ا   إنك نزلت منزلك هذا فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وإن كان هو الرأي تكلمنا) فقال له الرسول (هو الرأي) فقال الحباب (يا رسول ا   إن أهل النطاة لي بهم معرفة فليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم. تحول يا رسول ا .

ونزل الرسول على رأي الحباب وتحول إلى حصن ناعم وحاصره سبعة أيام وكان يعطي الراية كل يوم لواحد من كبار الصحابة. وخلال الليلة السابعة من الحصار كان عمر بن الخطاب هو رئيس الحرس فألقى القبض على احد اليهود وأمر بضرب عنقه إلا أن اليهودي طلب منه أن يسهل له لقاء محمد وعندما قابل الرسول قال اليهودي إذا امنتموني على حياتي فإني أدلكم بأخبار أنتم في أشد الحاجة إليها وفيها نجاحكم. إن القوم قد أجهدهم الحصار وهم يرسولن الأطفال إلى حصن آخر إذ قرورا أن يناجزوكم غدا فإذا فتح ا عليكم هذا الحصن فإن أدلكم على بيت فيه منحنيق ودبابات وسيوف ودروع تعينكم على فتح بقية الحصون. وفي الصباح استدعى الرسول (علي بن أبي طالب) وأعطاه الراية وولاه القيادة قائلا له خذ الراية فأمصن بها حتى يفتح ا   عليك وهجم احد اليهود على (علي) فطرح ترسه من بين يديه فتناول (علي) بابا وجده عند الحصن

ودافع به عن نفسه وظل يقاتل به حتى فتح ا   عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره. وفتح المسلمون حصون اليهود حصنا بعد الآخر ما عدا حصني الوطيح والسلالم فقد فتحا صلحا عندما عقد الرسول صلحا مع يهود خيبر على أن يزرعوا الأرض ويخدموا النخل ولهم نصف الغلة وكان صلح خيبر فاتحة خير على المسلمين حيث بعث النبي إلى يهود فدك أن يسلموا برسالته أو يسلموا أموالهم فأصابهم الرعب بعد خيبر فتصالحوا على نصف أموالهم من غير قتال.

أما يهود وادي القرى فأبوا أن يستسلموا أو يصالحوا فسار إليهم النبي وحاصرهم ثم قاتلهم وهزمهم وانتهى بهم الأمر إلى قبول الوضع الذي قبله أهل خيبر.

وهكذا فقد تمكن الرسول عليه السلام من كسر شوكة كل يهود الجزيرة العربية.



الفصل الثامن عشر

إنا فتحنا لك فتحا مبينا..

إنا فتحنا لك فتحا مبينا..

أصبح المسلمون بعد العديد من الغزوات والسرايا مر هوبي الجانب في كل الجزيرة العربية فطاقت أفئدتهم إلى نشر دين ا الحنيف خارج حدود الجزيرة كبدايات وإرهاصات للفتح المبين الذي سيمن ا به على رسوله والمسلمين.

غزوة مؤته

مؤته مدينة معروفة بالشام على مسافة مرحلتين من بيت المقدس وقد وقعت الغزوة في العام الثامن من الهجرة ولم يشترك فيها الرسول: وهناك قولان في سبب هذه الغزوة الأول أن الرسول قد بعث الحارث بن عمير الأذى إلى أمير بصرى من جهة هرقل ويسمى الحارث بن أبي شمر الغساني فلما نزل مؤته عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وقال أين تريد؟ فقال الشام.. فعاد يقول لعلك من رسل محمد؟ فقال له نعم.. فأمر به فأوثق ثم ضرب عنقه وقيل إن القتل قد تم باسم هرقل وقد حزن الرسول على مقتله وقرر أن ينتقم له.

أما القول الآخر فهو أن الرسول كان قد أرسل خمسة عشر رجلا إلى ذات الطلح على حدود الشام يدعون إلى الإسلام فكان جزاؤهم القتل ولم ينج إلا رئيسهم وقد بعث الرسول ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة

زيد بن حارثة قاتلوا في مؤته مائة ألف وفي رواية أخرى مائتي ألف وخرج مع المسلمين لأول مرة خالد بن الوليد بعد إسلامه وسار الرسول مع الجيش مودعا ثم قال لهم.. (اغزوا باسم ا في سبيل ا من كفر با لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخيلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء).

ونزل جيش المسلمين إلى معان وعلموا أن جيش هرقل الكبير قد نزل بأرض البلقاء فتبادل المسلمون الرأي وقال البعض نكتب إلى رسول ا فنخبره الخبر فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمض له. ولكن عبد ا بن رواحة أنهى الموقف قائلا (يا قوم وا إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ألا وهي الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا ا به فأنطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين أما ظهور وإما شهادة). فتشجع الناس وقالوا صدق ابن رواحه وتقدم المسلمون إلى قرية مشارف فلما رأوا جموع هرقل انحازوا إلى قرية مؤته حيث رأوها خير من مشارف لتحصنهم بها ودارت معركة غير متكافئة بين الجيشين وحمل الراية زيد وقاتل حتى قتل فحملها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قطعت يمناه فأمسك الراية بيسراه حتى قطعت فأمسكها

بعضديه حتى قتل فأمسك الراية عبد ا بن رواحه. فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أرقم العجلاني وقال (يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم) فقالوا أنت.. قال (ما أنا بفاعل) وأخيرا اصطلحوا على أن يتولى القيادة خالد بن الوليد فذهب إليه ثابت وقال له أنت أعلم بالقتال مني وكان خالد قائد ماهر ومحركا للجيوش قل نظيره وعندما جن الليل أصدر خالد أوامره وداور بالمسلمين حتى ضم صفوفهم وأعاد تنظيم الجيش فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة والساقة مقدمة والمقدمة ساقه ووزع عددا غير قليل من رجاله في خط طويل من مؤخرة جيشه احدثوا إذا أصبح الناس من الجلبة ما ادخل في روع الأعداء أن مددا جاء من عند النبي وإذا كان ثلاثة ألاف قد فعلوا بالروم الأفاعيل في اليوم الأول وقتلوا منهم خلقا كثيرا فما عسى أن يصنع هذا المدد الذي جاء ولا يدري احد عدته. ولذلك تقاعس الروم عن مهاجمة خالد وجيشه وسروا بعدم مهاجمته إياهم وظل خالد يناوش الروم سبعة أيام وهو في نفس الوقت ينسحب حتى وصل بجيشه سالما إلى المدينة.

عمليتان ضد قضاعة

علم الرسول من رجال مخابرته أن قبيلة قضاعة على ساحل البحر الأحمر تعد لحرب المسلمين فجهز جيشا قوامه ثلاثمائة مقاتل منهم

عمر بن الخطاب بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ورغم التعب الشديد الذي لقيه الجيش في الطريق حتى أنهم أكلوا أوراق الشجر إلا أنهم قد عادوا دون أن يحاربوا احد. أما العملية الثانية فقد أرسل الرسول جيشا قوامه ثلاثمائة مقاتل بقيادة عمرو بن العاص بعد أن اسلم. فلم علم عمرو بكثرة عدد العدو طلب المدد من الرسول فأمده الرسول بما طلب والتحم الجيشان وانتصر جيش المسلمين على قضاعة.

غزوة ذات السلاسل

أراد الرسول بعد أسابيع من غزوة مؤته أن يسترد هيبة المسلمين في شمال شبه الجزيرة فبعث عمرو بن العاصي يستنفر العرب إلى الشام وذلك لأن له قرابة في قبائل تلك النواحي فكان من اليسير عليه أن يتألفهم فلما كان على ماء بأرض جزام يقال له السلسل بلغه أن العدو ذو عدد كبير فطلب مددا فأرسل له الرسول مائتي رجل فيهم أبو بكر وعمر وعلى رأسهم أبو عبيده بن الجراح والتحم الجيشان وانتصر المسلمون وفر أعداؤهم فمنع عمرو المسلمين من اقتفاء اثر العدو أو إيقاد النار ولما عاد والجيش شكى الجند إلى الرسول فسأل عمرو عن سبب أوامره تلك فقال (كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد).

الغزوة الكبرى.. فتح مكة..

رأت قريش في عودة المسلمين من مؤته هزيمة لهم فتشجعت ورأت أن تنقض العهد الذي بينها وبين الرسول في الحديبية وشجع ذلك قبيلة بني بكر وهم من أنصار قريش أن تهاجم خزاعة وهم من أنصار الرسول فأسرع عمرو بن سالم الخزاعي ومعه بديل بن ورقاد إلى الرسول لإخباره بنقض الهد فقال النبي (نصرت يا عمر وبن سالم) وقرر أن يعد العدة ليهاجم قريشا داخل مكة. وأدركت قريش ما جرته على نفسها من شر بسبب نقضها العهد بما أعانت بكرا على خزاعه.. وتشاورا وقرروا إرسال بعثة إلى الرسول يقودها أبو سفيان زعيم قريش وفي الطريق لقي أبو سفيان بديل بن ورقاد عائد من المدينة فسأله من أين أنت قادم يا بديل؟ فقال من زيارة لخزاعة على الساحل فعاد يسأله أو ما جئت محمد؟ فقال لا.. ولما انصرف عرف أبو سفيان انه وجد محمد إذا وجد في مكان رحاله النوى مختلطا بروث الإبل (علاف يثرب) ولهذا قرر إلا يلقي محمد مباشرة وجعل وجهته بيت ابنته حبيبة زوج الرسول وأساءت أم حبيبة استقبال أبيها فذهب إلى الرسول وكلمة في إطالة مدة العهد فلم يرد عليه فذهب إلى أبي بكر ثم عمر ثم إلى علي وفاطمة ففشل في كل وساطاته.

وفي المقابل أمر الرسول عليه السلام بتجهيز الحملة إلى مكة وقرر أن توضع خطة الاستيلاء على مكة دون إراقة دماء ولهذا

اعتمدت الخطة على المفاجأة ومباغتة القوم بما لا يجدون له دفعا فيسلمون دون إراقه دماء وأمر الرسول بحراسة الطرق إلى مكة والقبض على كل من يستراب فيه وكان عمر هو الذي يقود الحراسة وكان يقول (لا تدعوا أحد يمر بكم إلا رددتموه) وبينما الجيش على أهبة الاستعداد للسير كتب (حاطب بن أبي بلتعة) رسالة أعطاها امرأة من مكة مولاة لبعض بني عبد المطلب تسمى (سارة) وأستأجرها بعشرة دنانيرة وقال لها (إخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فإن عليه حرسا)، وعلمت عيون الرسول بالخبر فبعث النبي عليا والزبير والمقداد بن الأسود وراء المرأة وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ فإن بها ظعينه (إمرأة) معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها فانطلقوا وراءها حتى قبضوا عليها وقالوا لها اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقال على ما كذب رسول ا   لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب وإزاء هذا التهديد قالت المرأة لعلى أعرض ثم حلت شعرها وأخرجت الكتاب فذهبوا به إلى رسول ا   وإذا بالكتاب موجه إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وفيه (إن رسول ا   جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فو ا   لو جاءكم وحده لنصره ا   وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم) فدعا الرسول حاطبا وسأله عن الدافع

لإرساله هذه الكتاب فقال (يا رسول ا أما وا إن لمؤمن با ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت إمرأ ليس له في القوم من أهل وعشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم) قال عمر بن الخطاب دعني يا رسول ا فلأضرب عنقه فان الرجل قد نافق. فرده الرسول برفق قائلا (وما يدريك يا عمر لعل ا قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وكان حاطب من كبار المسلمين ومن أصحاب بدر وفي هذا الموقف نزل قول ا تعالى ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ الممتحنة أية ١.

وهكذا تم إخفاق المحاولة الوحيدة التي بذلت لتوصيل الأخبار عن الحملة إلى قريش. وبعث الرسول إلى قبائل العرب من حوله مثل (أشجع – غفار – سليم – مزينه – جهينه – غطفان) وقال (من كان يؤمن با واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة) فتدفقت الجموع على المدينة وبلغ جيش المسلمين من عشرة إلى أثنى عشرة ألف مقاتل وبدأ التحرك في الليلة العاشرة من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة وبلغ الرسول (الظهران) على أربعة فراسخ من مكة دون أن تعلم قريش ولكن العباس عم النبي وقد قيل انه قد أسلم قبل تأهب الرسول لغزو مكة ولكنه ظل يكتم إسلامه بأمر الرسول

حتى يبقى في مكة فيبعث له بالأخبار. وقد خرج العباس في أهله حتى لقى الرسول بالجحنه وأمر النبي الجيش بإيقاد نار عظيمة في الليل لإرهاب قريش فأضاءت نيران المسلمين الوديان والجبال ودعا الرسول عمه العباس ليكون سفيرا إلى قريش يلقي الرعب في قلوب القوم وشعرت قريش بالخطر الذي يتهددها وانطلق أبو سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يستطلعون الأمر ويتنسمون الأخبار وبينما العباس يسير على بغلة الرسول سمع حديثا بين أبي سفيان وبديل.

أبو سفيان.. ما رأيت كالليلة نارا قط ولا عسكر

بديل.. هذه وا خزاعة حمشها الحرب

أبو سفيان.. خزاعة اقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

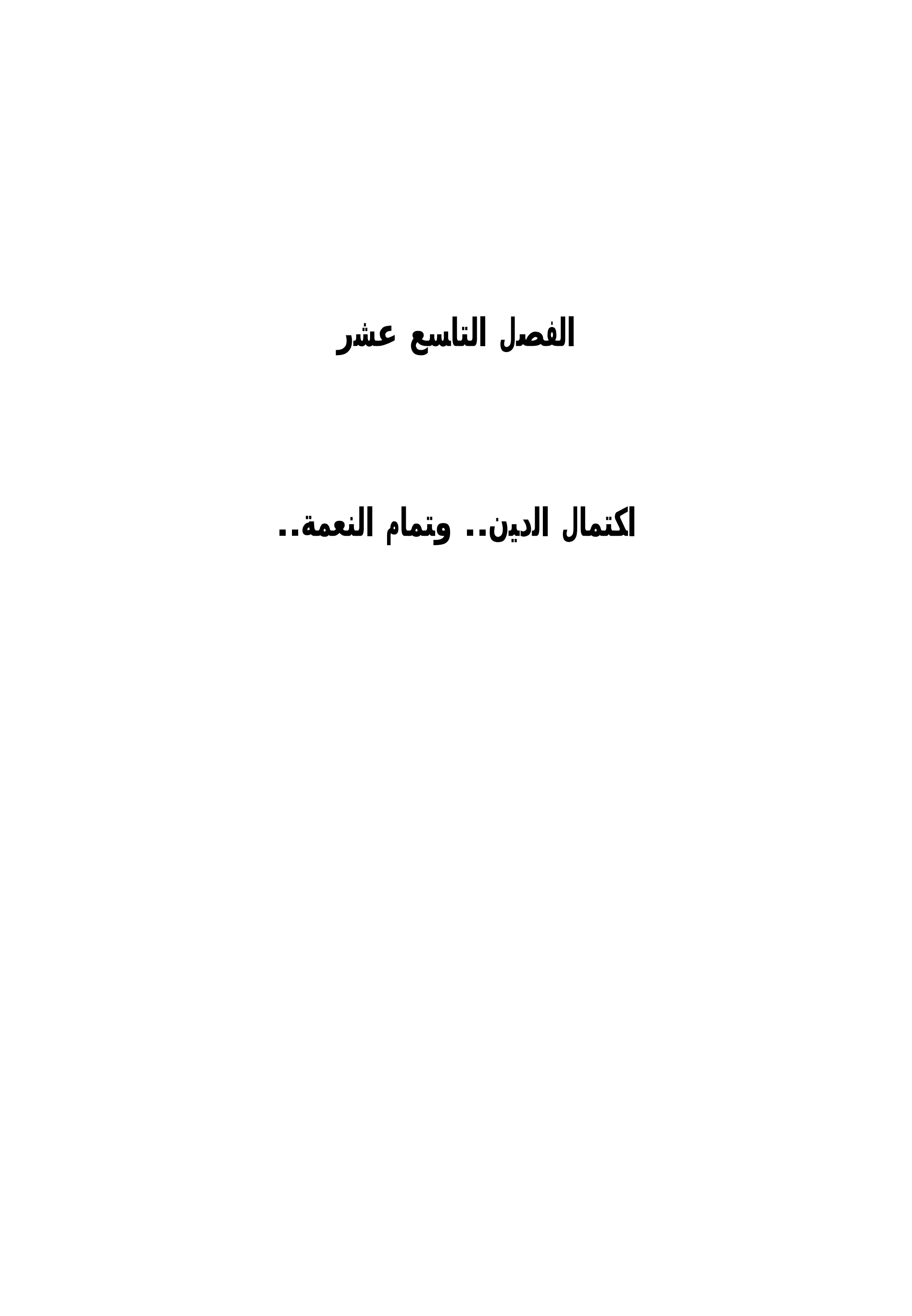
ونادى العباس أبا سفيان وقال له ويحك يا أبا سفيان هذا رسول ا في الناس وويل لقريش لو دخل مكة عنوة.. فسأل أبو سفيان وما الحيلة فداك أبي وأمي فأخذه العباس خلفه على بغلة الرسول ومر بين جنود المسلمين وعندما رآهما عمر سارع إلى خمية الرسول وطلب أن يضرب عنق أبي سيان. فقال العباس يا رسول ا قد أجرته وفي الصباح دار حوار طويل بين الرسول وأبي سفيان أسلم بعده أبو سفيان فقال العباس يا رسول ا (إن أبا سفيان رجل يحب الفخر

فأجعل له شيئا) فأجاب الرسول نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن وحرص الرسول على أن يمر هذا الجيش العظيم أمام أبي سفيان وهو في طريقه إلى مكة فأسرع أبو سفيان إلى قريش يقول لهم. يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل داري فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ونزلت كلماته كالصواعق على الناس فأسرعوا هاربين إلى بيوتهم ووهنت روح الحرب عندهم وتملكهم الخوف.

وصل الجيش الإسلامي إلى أبواب مكة عند (ذي طوي) فقسم الرسول الجيش إلى أربع فرق وأمرها ألا تقاتل وألا تسفك الدماء إلا إذا أكرهت على ذلك وكان الجناح الأيسر للجيش بقيادة الزبير بن العوام والجناح الأيمن بقيادة خالد بن الوليد والأنصار بقيادة سعد بن عبادة والمهاجرين بقيادة أبو عبيدة بن الجراح ودخلت كل الأجنحة دون أي مقاومة إلا جيش خالد الذي دخل من أسفل مكة فلقي بعض المقاومة من عكرمة بن أبي جهل وصفوان وسهيل ولكن خالد استطاع أن يتغلب عليهم وفر القادة الثلاثة. ونزل الرسول بأعلى مكة قبالة جبل الهند وضربت له قبه على مقربة من قبري أبي طالب وخديجة وامتطى الرسول ناقته القصواء وسار بها حتى بلغ الكعبة فطاف بالبيت سبعة ثم دعا عثمان بن طلحة ففتح الكعبة وتكاثر الناس

في المسجد فخطبهم وتلا عليهم قول ا تعالى (يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا أتقكم إن ا عليم خبير) الحجرات – ١٣ ثم سألهم يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟ فقالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم) فقال أذهبوا فأنتم الطلقاء وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وعن أهل مكة جميعا. وأمر الرسول أن تطمس كل الصور في الكعبة ثم نظر إلى الأصنام وقال ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ الإسراء – ٨٩.

فوقعت الأصنام جميعا وتطهر البيت الحرام منها وظل الرسول في مكة خمسة عشرا يوما يفقه أهلها في الدين ويرتب شئونها ثم عاد مرة أخرى إلى المدينة بعد تخوف أهلها من تركه لهم ليقيم في موطنه الأول مكة.



الفصل التاسع عشر

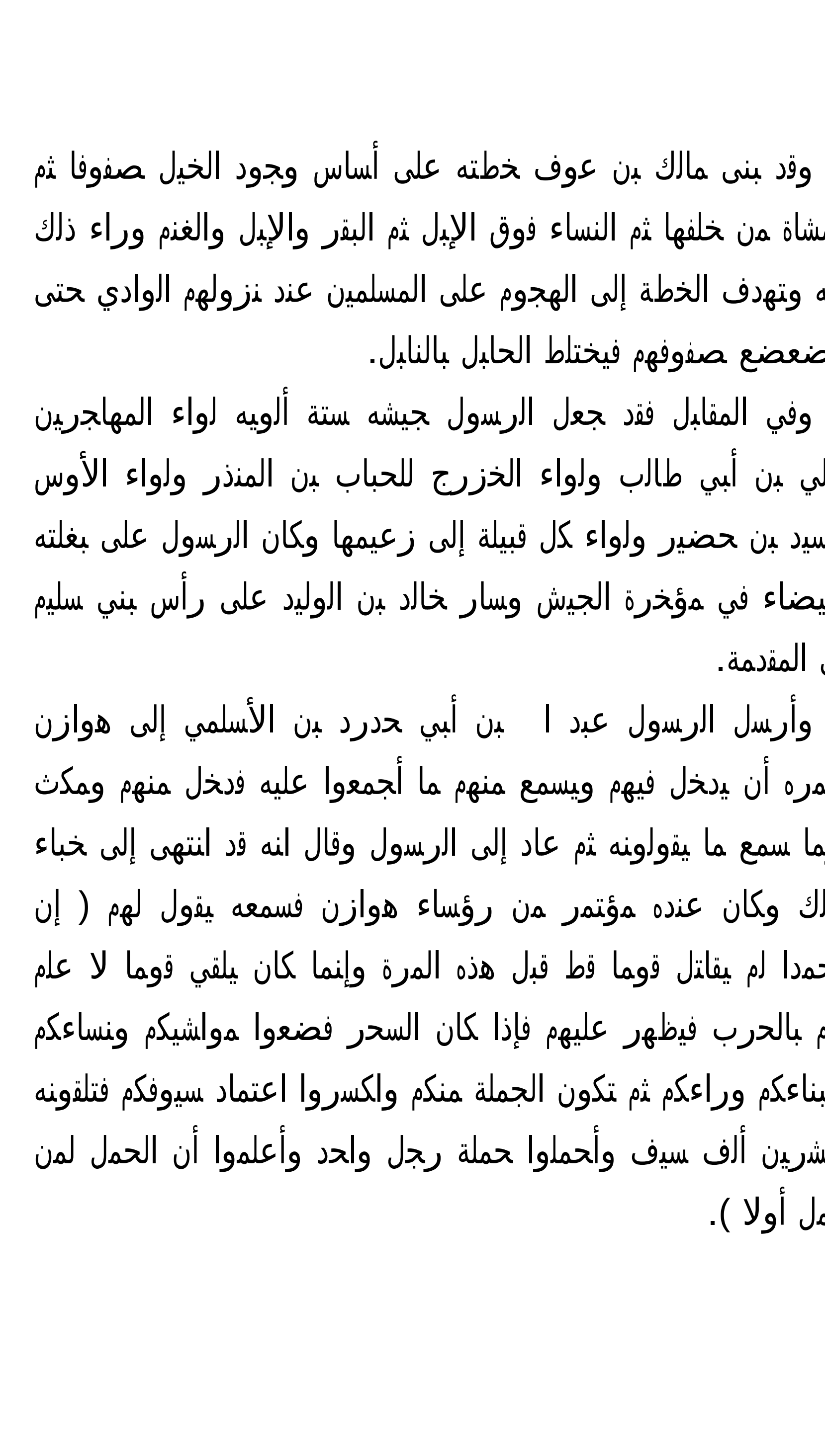
اكتمال الدين.. وتمام النعمة..

اكتمال الدين.. وتمام النعمة..

بعد أن من ا على رسوله بفتح مكة أصبح الإسلام قوة عظيمة تملأ قلوب الخصوم والأعداء بالرهبة والرعب. ولكن هذه الرهبة جعلت بقية قبائل الجزيرة العربية والتي ارتضت الشرك ورفضت الدخول تحت مظلة الإسلام تعمل جاهدة على التماسك لتدخل معركتها الأخيرة ضد محمد وأصحابه.

غزوة حنين

(حنين اسم موضع في طريق الطائف) عندما وصلت أخبار انتصار المسلمين في مكة إلى هوازن خشيت أن تدور الدائرة عليها وأن يوجه إليها محمد ضربته التالية فقام مالك بن عوف بالدعوة إلى حرب المسلمين وغزوهم قبل أن يغزوهم وكان مالك شابا في الثلاثين من عمره واجتمعت هوازن وثقيف ونصر وجشم فتم إعداد ثلاثين ألف مقاتل ومعهم أموالهم ونساءهم وصغارهم وأمر مالك جيشه أن ينحاز إلى قمم حنين عند مضيق الوادي وقد جاءت العيون إلى رسول ا بأخبار هوازن فبعث النبي من يستطلع الأمر وتأكد له أمر الجمع فتجمع جيش المسلمين في أثنى عشرة ألف مقاتل من بينهم مسلمي مكة بعد الفتح.



وقد بنى مالك بن عوف خطته على أساس وجود الخيل صفوفا ثم المشاة من خلفها ثم النساء فوق الإبل ثم البقر والإبل والغنم وراء ذلك كله وتهدف الخطة إلى الهجوم على المسلمين عند نزولهم الوادي حتى تتضعضع صفوفهم فيختلط الحابل بالنابل.

وفي المقابل فقد جعل الرسول جيشه ستة ألويه لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الأوس لأسيد بن حضير ولواء كل قبيلة إلى زعيمها وكان الرسول على بغلته البيضاء في مؤخرة الجيش وسار خالد بن الوليد على رأس بني سليم في المقدمة.

وأرسل الرسول عبد ا بن أبي حدرد بن الأسلمي إلى هوازن وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل منهم ومكث يوما سمع ما يقولونه ثم عاد إلى الرسول وقال انه قد انتهى إلى خباء مالك وكان عنده مؤتمر من رؤساء هوازن فسمعه يقول لهم (إن محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وإنما كان يلقي قوما لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فإذا كان السحر فضعوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم وراءكم ثم تكون الجملة منكم واكسروا اعتماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف وأحملوا حملة رجل واحد وأعلموا أن الحمل لمن حمل أولا).

وفي المقابل كان مالك بن عوف قد أرسل بعثة جواسيس من ثلاثة أفراد ينظرون إلى رسول ا ويعرفون خبر جيشه ففعلوا ذلك وعادوا إليه وقد تملكهم الفزع وقالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فو ا ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وإن اطعتنا رجعت بقومك فقال لهم أف لكم بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفا من أن يشيع قولهم في الجيش.

وبدأ المسلمون ينحدرون من مضيق حنين في واد من أودية تهامه فشنت عليهم القبائل هجوما عنيفا فاختلط أمر المسلمين واضطربوا واختلت الصفوف وعمت الفوضى وتراجع الناس لا يلوون على شيء وولت القبائل الأدبار وثبت الرسول مكانه وأحاط به جماعة من المهاجرين والأنصار وأهل البيت وجعل ينادي الناس وهم يمرون به منهزمين أين أيها الناس أين. وحاول الرسول أن يندفع ببغلته البيضاء ليوقف هذا السيل من الهجوم العنيف إلا أن عمه العباس اعترض طريقه وأخذ يصيح يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة إن محمدا حي فهلموا.. واستجابت الجموع وارتفع في الميدان النداء الخالد (لبيك.. لبيك) وارتد المسلمون إلى المعركة وأصبحوا وجها لوجه أمام هوازن في الميدان واشتد القتال وانهزم الأعداء وانسحبوا وفروا تاركين نساءهم

وأموالهم وأبناءهم وبلغ عدد الأسرى ستة آلاف أسير نقلوا تحت الحراسة إلى وادي الجعرانة واستمرت المطاردة للفارين وأعلن الرسول أن من قتل مشركا فله سلبه وتبع المسلمون هوازن وأنزلوا بهم خسائر فادحة وتمكن مالك بن عوف من الفرار إلى الطائف واحتمى بها وقد انزل ا تعالى في هذه الغزوة قوله تعالى ﴿ **لقد نصركم ا في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل ا سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكفرين** ﴾ التوبة ٢٥ – ٢٦.

غزوة الطائف.. معركة الدبابات

بعد هزيمة هوازن هرب قائدها مالك بن عوف إلى الطائف ليحتمي بها فقرر الرسول أن يحاصر المسلمون الطائف ويضيقوا عليها الحصار وتلك كانت خطة الرسول في خيبر بعد احد وفي قريظة بعد الخندق وكانت الطائف ذات أبواب تغلق على من فيها وهي من الحصون الآمنة وكان أهلها من ذوي الدراية بحرب الحصار وذوي ثروة طائلة ونزل المسلمون قريبا من الحصن (في مكان نزولهم أقيم مسجد الطائف) ولكن أهل الحصن نالوهم بالنبال فأصيب عدد كبير وقتل أثنا عشر رجلا وتراجع المسلمون عن مرمى

النبال ولجأ النبي إلى بني دوس إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة وكان لهم علم برماية المنجنيق واستخدام الدبابات في مهاجمة الحصون فجاءت طائفة منهم ومعهم المنجنيق والدبابات وأخذ المسلمون يرمون الحصن بالمنجنيق وبعثوا بالدبابات إلى الحصن وتحتها نفر من المسلمين يحاولون هدم الجدار وقاوم أهل الحصن الدبابات بأن احموا قطعا من الحديد بالنار حتى إذا انصهرت القواها على الدبابات فحرقتها واضطر المسلمون إلى الفرار من تحتها خوفا من الحرق فأصابتهم ثقيف من داخل الحصن بالنبال وعند ذلك أمر الرسول بقطع كروم الطائف وحرقها فجزعوا وبعثوا للرسول (دعها وللرحم) فقال الرسول (أدعها وللرحم) ونادى الرسول في ثقيف انه معتق من جاء إليه من الطائف ففر إليه قرابة عشرين من أهلها عرف منهم أن بالحصن من الذخيرة ما يكفي أمدا طويلا فقرر الرسول رفع الحصار بعد شهرين من وقوعه على أن يعود إلى الطائف بعد انتهاء الأشهر الحرام وأعلن الرسول انه إن جاء مالك بن عوف مسلما رد عليه ماله وأهله وأعطاه مائة من الإبل، فهرب مالك من الحصن وأسلم.

غزوة تبوك

تبوك اسم لعين في مكان على مشارف الشام وسميت كذلك لأن الرسول كان قد نهى عن المساس بها فجاء أربعة من المنافقين وعبثوا بها فقال لهم الرسول (ما زلتم تبكون بها) والبوك معناه الحفر في الشيء.

وقد جاءت الأخبار إلى الرسول من عيونه المبثوثة بأن الروم تتهيأ لغزوة. ولأن خطة الرسول كانت دائما مفاجأة الأعداء على حين غره إلا أن هذه المرة لن تجدي هذه الخطة لبعد المسافة وكثرة العدد وشدة الحر ولذا أعلن الرسول انه سيعد جيشا إلى بلاد الروم وبعد الرسل إلى قبائل العرب ويدعوهم إلى القتال معه ودعا أغنياء المسلمين للمساهمة في إعداد الحملة وراح البعض يعتذر بشدة الحر أو مخافة الفتنة من نساء الروم وبلغ الرسول أن بعض المنافقين قد اجتمعوا في بيت سويلم اليهودي يحملون الناس على عدم الجهاد فأمر الرسول طلحة بن عبيد ا وبعض الصحابة بأن يحرقوا البيت عليهم فهربوا من النار ونجوا ولكنهم لم يعودوا لمثلها أبدا وكانوا عبرة لغيرهم. وبلغ عدد الجيش أكثر من ثلاثين ألفا ونزل الرسول في أرض لا عمارة بها في مكان هو أول مشارف الشام من الجنوب أطلق عليه (تبوك) واستطلع الرسول المنطقة فلم يجد أثرا لجيش الروم حيث انسحبوا عندما علموا قوة جيش المسلمين. وصالح الرسول قبائل

المنطقة (أبلة – الجرباب – أذرع) وكتب لهم كتب أمن على أن يدفعوا الجزية.

وبعث الرسول خالد بن الوليد في خمسمائة مقاتل إلى ملك دومه (دومة الجندل) وهو أكيدر بن عبد الملك وكان نصرانيا وذلك مخافة أن يساند الروم إذا عادوا وأسرع خالد بالانقضاض على دومة في غفلة من مليكها الذي خرج في ليلة مقمرة ومعه أخ له يسمى حسان يطاردان بقر الوحش ولم يلق خالد أي مقاومة فقتل حسان وأخذ اكيدر أسيرا وهدده بالقتل إن لم تفتح دومه أبوابها وفتحت المدينة الأبواب فداء لأميرها وعاد خالد إلى المدينة فعرض الرسول الإسلام على أكيدر فأسلم وأصبح للمسلمين حليفا.

وكانت هذه الغزوة هي خاتمة غزوات النبي وبانتهائها تمت كلمة ا في الجزيرة العربية وأمن الرسول كل عادية عليها وأقبل سائر أهلها وفودا يقدمون الطاعة ويعلنون الدخول في الإسلام وقد عرفت السنة التاسعة من الهجرة بعام الوفود لأن عددا كبيرا من القبائل العربية وأهالي المدن قد أخذت تفد على الرسول تعلن خضوعها وحرصها على دخول الإسلام.

وهكذا يتحقق قول ا تعالى:

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾.

الفصل الأخير..

ليست (حواديت)
ولكنها (دروس)..!

ليست (حواديت) ولكنها (دروس)..!

قد يتبادر إلى بعض الأذهان أننا لم نقدم خلال الصفحات السابقة إلا مجرد قراءة جديدة للسيرة النبوية قدمنا من خلالها بعض (الحواديت) برؤية جديدة تقتفي اثر علم المخابرات وفن الجاسوسية. ورغم أن هذه النظرة لا تسيء إلى عملنا الذي اجتهدنا فيه قدر الطاقة إلا أنها نظرة (جزئية ضيقة) لأن رحلتنا مع رسول ا ﷺ لم تكن مجرد حواديت ولكنها دروس وعبر ومنهج حياة يجب أن نتمثل جوهره لنسير على هديه. وذلك لأننا نرى أن عبقرية الرسول ﷺ تكمن في (بشريته) واجتهاداته الدنيوية وتوقد ذهنه ونظرته الموسوعية فإلى جانب انه الرسول والنبي الذي حسم كثيرا من الأمور الدنيوية وخاصة في مجال الحرب والقتال. ويزداد إعجابنا وانبهارنا بعبقرية الرسول العسكرية إذا نظرنا إلى ما قبلها بسنوات طويلة حيث لم يشارك الرسول عليه السلام قبل بعثته في أية حروب كما انه ظل طيلة ثلاثة عشر عاما في مكة بعد البعثة بلا حروب أو قتال لأنه كما ذكرنا من قبل كان يهدف أولا إلى نشر (تكتيكيات الدعوة) أما بعد الهجرة إلى المدينة ونزول الإذن من ا بقتال المشركين أصبح الرسول عليه السلام يهدف إلى نشر (تكيتيكات الدولة) لتولد على يديه دولة الإسلام ولم تولد هذه الدولة إلا من

خلال الكثير من الحروب والمعارك ويجمع معظم المؤرخين على أن الغزوات في عصر الرسول كانت سبعا وعشرين غزوة بينما كانت السرايا سبعا وأربعين سرية ولم يقاتل الرسول إلا في تسع غزوات ولكنه في كل الغزوات والسرايا القائد والمخطط صاحب البصيرة التي لا تخيب أبدا فاستطاع وهو النبي الأمي أن (يبتكر) الكثير من فنون الحرب والقتال وأيضا أن يبتكر الكثير من فنون المخابرات والجاسوسية والتي لم تعرف إلا بعد رحيله عليه السلام بعدة قرون، ومن خلال رحلتنا مع غزوات وسرايا الرسول التي تمت على مدى عشر سنوات هي المدة ما بين هجرته إلى المدينة وبين رحيله إلى الرفيق الأعلى نستطيع أن نستخلص العديد من الدروس والعبر التي تمثل (منهاج حياة) يصلح لكل زمان ومكان ونستطيع لو تمثلنا جوهره ومحتواه أن نعود كما كنا في مقدمة الركب الحضاري للعالم كله وفيما يلي نقدم أهم الدروس والعبر التي استخلصناها من خلال رحلتنا مع عبقرية الرسول عليه الصلاة والسلام في الحرب والمخابرات.

١ – أهل الخبرة أم أهل الثقة

كان الرسول عليه السلام يستعين دوما بالخبير الحاذق حتى ولو كان من غير المسلمين فقد استعمل في هجرته من مكة إلى المدينة

عبد ا   بن آريقط وهو غير مسلم وكان عبد ا   بن اريقط من بني الديل (الدئل) بن بكر وأمه من بني سهم بن عمرو وكان مشركا ولكنه كان خبيرا بالطرق والأودية وقد طلب الرسول قبل خروجه من مكة أن يأتيه في غار ثور بعد ثلاثة أيام.

" وقد استعمل الرسول الأدلاء في معظم غزواته يدلونه على مسالك الطرق المؤدية إلى أية جهة يريدها وكان يختارهم ممن يعرفون طبيعة الأرض وتضاريسها وكثيرا ما كان يختارهم من أهل البلاد التي لهم خبرة بها أو ممن اعتادوا زيارتها فقد استعمل في غزوة خيبر حيل بن خارجه وعبد ا   بن نعيم من قبيلة أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائما منطقة خيبر. ولذا استطاع الرسول أن يصل إلى خيبر دون أن تعلم اليهود رغم علمهم المسبق عن طريق منافقي المدينة بتحركات الرسول.

٢ – الاستكشاف وتحليل المعلومات قبل الغزو

كان الرسول عليه السلام لا يدخل معركة إلا بعد معرفة حالة العدو ومعسكراته ومواقعه العسكرية وطبيعة الأرض وكان يستقي كل هذه المعلومات من خلال بث السرايا وطلائع الاستكشاف لترقب حركات العدو والقضاء على جواسيسه قبل أن يوصلوا الأخبار إلى الأعداء وقد شمل هذا الحرص إلى جانب الغزوات الحربية تلك

الغزوات التي لم يكن الرسول يهدف من خلالها إلى القتال والحرب فقد خرج عام الحديبية لا يريد حربا إلا انه احتاط فبعث من يستطلع الأخبار لمعرفة تحركات العدو زيادة في اخذ الحيطة والحذر وتنفيذا لأمر ا تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ وقد استخدم الرسول في الحديبية عينا من خزاعة يخبره عن قريش.

٣ – سرعة التلبية واستثمار المواقف

كان الرسول عليه السلام متوقد الذهن واسع الأفق يمتلك الكثير من اللماحية وقد أهله كل ذلك إلى (سرعة التلبية) في أصعب المواقف وقد وضح ذلك أشد الوضوح في كيفية استثمار الرسول عليه السلام لإسلام نعيم بن مسعود أثناء غزوة الخندق فمن خلال حيلته الذكية تحقق قدر كبير من فشل الأحزاب بعدما وقعت الفتنة بين اليهود وبين قريش وأعوانها.

٤ – شدة الحرص من تسرب الأخبار إلى الأعداء:

من أهم ركائز مقاومة جواسيس الأعداء اتخاذ الإجراءات السليمة في الحرص على ألا تتسرب الأخبار إليهم ومن أهم وسائل مقاومة جواسيس الأعداء الكشف عمن يقومون بأعمال التجسس وتعقبهم ومتابعة نشاطهم وذلك لإحباط محاولات العدو للحصول على معلومات عن طريق أعوانه وجواسيسه في الداخل. وقد حرص

الرسول عليه السلام على ألا تتسرب الأخبار إلى العدو وعمل على مقاومة جواسيس قريش في مكة والمدينة فقد بث الرسول عيونه ودورياته لتجوب الدروب حول المدينة لتحول دون تسرب المعلومات إلى قريش كما بث عيونه في الداخل ليقضي على كل خبر يمكن أن يصل أن يتسرب إلى قريش عن طريق عيونها داخل صفوف المسلمين ولأن الرسول كان يعلم مدى أهمية علم العدو بالمعلومات عن حركة المسلمين فقد دعا ربه قائلا (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها).

٥ – أسرار القائد لنفسه فقط حتى موعد التنفيذ

حرص الرسول عليه السلام على السرية التامة في كل غزواته ولم يكن يعلن الأخبار إلا (ساعة الصفر) كما نسميها الآن فعند الهجرة لم يخبر أحدا إلا ليلتها عندما أخبر عليا بن أبي طالب وأبا بكر الصديق. وعند فتح مكة لم يخبر الرسول أحدا حتى عائشة عندما ساعدته في ارتداء ملابسه وبعد الإعلام عن الغزوة كان الحذر لا يفارق الرسول عليه السلام فقد كان يستخدم الحراسات لمنع تسرب المعلومات كما حدث في غزوة حنين عندما تولى الحراسة أنس بين مرثد العتوي وقال له الرسول (لا نغرن من قبلك الليلة) كما تولى عمر بن الخطاب الحراسة في غزوة الفتح ومن قبله تولى أبو بكر

الصديق الحراسة في رحلة الهجرة. وقد ظفر الحرس في غزوة خيبر بيهودي كان له اثر كبير في معرفة كل شيء عن حصون اليهود.

٦ – الابتكار والتجديد

ذكرنا أن الرسول عليه السلام كان واسع الأفق، متوقد الذهن، سريع البديهة ولذلك فقد استطاع (ابتكار) وسائل جديدة لم تكن معروفة قبله في عالم المخابرات ولم تعرف إلا بعده بعدة قرون وأفضل مثال على تلك الابتكارات العظيمة ما يسمى (الأوامر المختومة) وهي رسائل يحملها المكلف بما فيها ولا يفتحها إلا في مكان معين وزمان معين وهذا ما حدث في سرية عبد ا   بن جحش.

٧ – شبكة العيون والمعلومات

كان الرسول عليه السلام يبث عيونه ورجال مخابرات في كل مكان بالجزيرة العربية ولذلك فإن غالبية غزوات الرسول كانت على أرض الأعداء بعد معلومات وصلته من عيونه عن تربص هذه القبائل واستعدادها لغزو المسلمين فقبل فتح مكة كان العباس بن عبد المطلب عم الرسول عينا له في مكة وكان عبد ا   بن حدرد الأسلمي عينه في هوازن وغيرهما الكثير من كل القبائل.

٨ – الشفرة سلاح الحذر ورفع المعنويات

من ابتكارات الرسول في عالم الحرب والمخابرات ما يعرف الآن (الشفرة) أو الشعار أو كلمة التعارف أو اللحن المصطلح عليه فقد كان للجيش الإسلامي نداءات خاصة يصدرها القائد للجند في الحرب وذلك نتيجة لتنوع الحركات في الحرب والحاجة إلى إخفاء الحركة عن العدو فكان لكل حركة نداء خاص يدل لفظه على المراد به على معنى معين فعن البراء بن عازب قال: قال رسول ا إنكم ستلقون العدو غدا فإن شعكاركم! حم لا ينصرون) وقد كان للمسلمين على عهد الرسول شعارات كثيرة في مختلف الغزوات مثل (أمت أمت – عبد الرحمن – عبد ا – ا اكبر – احد أحد – يا أصحاب سورة البقرة).

واستخدام الشعار أو الشفرة بين المقاتلين يرفع معنوياتهم ويضمن لهمن عدم معرفة العدو لما يقولونه وما يقصدونه من التخاطب بهذه الشفرة.

٩ – اعرف عدوك تهزمه

اعرف عدوك شعار انتشر في البلاد العربية أواخر الستينات وذلك لمعرفة اليهود بعد هزيمة ١٩٦٧ – ولكن الرسول عليه السلام قد طبق هذا الشعار عمليا مع اليهود أيضا فقد تنبه الرسول لغدر اليهود وخيانتهم وكان يستعمل منهم من يكتب له رسائله فأمر زيد بن ثابت

بتعلم لغة الأعداء من اليهود فعن زيد بن ثابت قال (أمرني رسول ا
أن أتعلم كلمات من كتاب يهود وقال (إني وا ما آمن يهود على
كتابي) قال زيد فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته.

١٠ – تحليل المعلومات أهم من المعلومات

لا يقاس نجاح أي جهاز للمخابرات في العالم بمدى (الكم) الذي يجمعه من المعلومات ولكن نجاح أي جهاز للمخابرات يتوقف على قدرته في (تحليل) هذه المعلومات وقد كان رسول ا عليه السلام سباقا في هذا المجال ويتضح هذا كثيرا من خلال أحداث غزوة بدر فعندما أرسل النبي كلا من بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعده وعدي بن الزغباء الجهني حليف بني النجار ليستطلعا الأخبار سمعا حوار الفتاتين.

على ماء بدر ونقلاه إلى الرسول فعلم منه موعد وصول قريش. وعندما استجوب الرسول الغلام الذي جئ به من جيش قريش علم منه عدد مقاتلي قريش وذلك من خلال معرفته عدد الذبائح التي ينحرونها كل يوم.

١١ – اختيار من فيه الكفاية لجمع المعلومات

إذا كان علماء المخابرات في العصر الحديث يؤكدون على أن الجاسوس الماهر ليس من يجيد فنون التخفي ولكنه من لا يحتاج إلى

هذه الفنون.. وقد كان الرسول حريصا عند اختياره لرجال مخابرات على أن يكونوا من أصحاب (المواهب الخاصة) وممن يتحقق فيهم الكفاية والقدرة على التعامل مع أصعب المواقف مثلما حدث مع علي بن أبي طالب ليلة الهجرة وحذيفة بن اليمان في غزوة الخندق. وتقديرا لأهمية المعلومات كان الرسول عليه السلام يسند أمر الحصول عليها لمن يتمتع بصفات خاصة أهمها الصدق والشجاعة وكثيرا ما كان الرسول يعتمد على كل من الزبير بن العوام وعبد ا بن جحش ولنجاح الرسول في اختيار رجال مخابراته فقد كانت المعلومات تأتيه دوما صحيحة ودقيقة.

١٢ - رجل المخابرات مقاتل كامل..

إذا كانت الدول الآن تعامل رجال مخابراتها معاملة خاصة من خلال المزايا التي يتمتعون بها فقد سبق رسول ا إلى ذلك فقد تعامل مع رجل المخابرات على انه مقاتل كامل له كل حقوق المقاتل على جبهة القتال فقد أرسل الرسول عليه السلام كلا من طلحة بن عبيد ا وسعيد بن زيد بن عمر إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار عن عير قريش قبل غزوة بدر وقد رجعا إلى المدينة بعد انتهاء الغزوة مباشرة ولم يحضروا القتال ولكن الرسول أسهم لكل منهما أي أعطى لكل منهما مثلما أعطى للمقاتلين من الفئ والغنايم. وعن أبي هريرة رضي

ا   عنه قال أن رسول ا   بعث عشرة عينا في غزوة بدر يتجسسون له.

المخابرات.. آخر وصايا الرسول

شاءت إرادة ا   أن تكون آخر وصايا الرسول قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى عن المخابرات. فقد أمر الرسول عليه السلام بتجهيز جيش أسامة بن زيد رضي ا   عنه وبعد أن تجهز الجيش قال الرسول (يا أسامة سر على اسم ا   وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحا على أهل ابنا (إبني – موضع في الشام وقيل اسم قبيلة) وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن أظفرك ا   فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون أمامك والطلائع).

وبعد أن أصدر الرسول أوامره بإنفاذ جيش أسامة مرض ﷺ الذي قبض فيه وأصبحت آخر وصاياه قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى (وخذ معك الأدلاء وقدم العيون أمامك والطلائع).



المراجع

١- القرآن الكريم

٢- التوراة

٣- الأناجيل

٤- لسان العرب لابن منظور

٥- المعجم الوسيط

٦- صحيح البخاري

٧- صحيح مسلم

٨- سيرة بن هشام

٩- الطبقات الكبرى لابن سعد

١٠- الكامل في التاريخ لابن الأثير

١١- السيرة الحلبية

١٢- تاريخ الطبري

١٣- مختصر السيرة النبوية لابن كثير

١٤- المغازي للواقدي

محمد بن عمر بن واقد

١٥- سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي



١٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام
للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي
١٧- التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية
محمد راكان الدغمي
١٨- عيون التواريخ
محمد بن شاكر بن احمد الكثبي
١٩- تاريخ مصر القديمة (الفرعونية)
محمد عبد الباقي
٢٠- حياة محمد
د. محمد حسين هيكل
٢١- الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد
صلاح نصر
٢٢- المخابرات والعالم
سعيد الجزائري
٢٣- المخابرات بين الوقاية والعلاج
أحمد هاني
٢٤- تاريخ بن خلدون
٢٥- تاريخ الإسلام



حسن إبراهيم حسن

٢٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي

٢٧- الفن الحربي في صدر الإسلام

عبد الرؤوف عون

٢٨- العبقرية العسكرية في غزوات الرسول

عقيد محمد فرج

٢٩- ملحمة الألياذة

هوميروس

٣٠- دائرة المعارف البريطانية

٣١- قاموس المصطلحات العسكرية والأمريكية

٣٢- حرب الدهاء

لاديسلاس فاراجو

٣٣- صناعة المخابرات

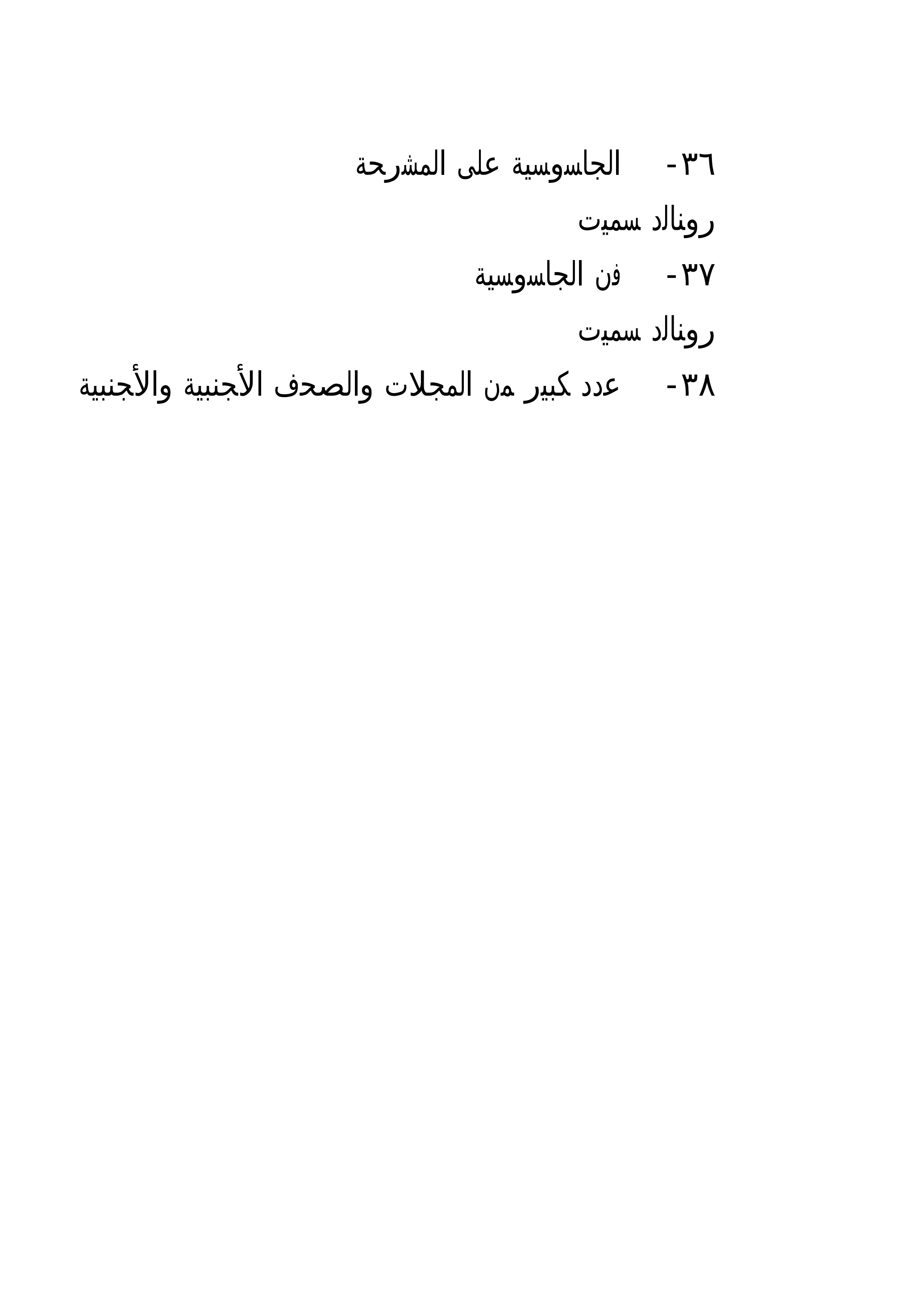
آلان دالاس

٣٤- الجواسيس في عملهم

رونالد سميث

٣٥- الحرب السرية

سانس دي جرامونت



٣٦- الجاسوسية على المشرحة
رونالد سميت
٣٧- فن الجاسوسية
رونالد سميت
٣٨- عدد كبير من المجلات والصحف الأجنبية والأجنبية